السولوفانية!

«ورقة التوت»

بقلم: إسلام أنور المهدي

طبعة أليكترونية خاصة بالمؤلف

2016-1437

إهداء..

إلى من سئم التمثيل والمحاكاة والتماهي..

إلى من يحب الدعاء بـ«ربنا يصلح الحال» وليست غايته من الدعاء «ربنا يستر»!

إلى من يعرف حقيقة التجمُّل: أنه أصل الكذب!

إلى الذي ليس لديه ما يخفي.. فلا يخاف!

إلى الذي يعرف ويعترف فيُصلِح، لا الذي يعرف فيُنكر ويُكابِر..

إلى الذي له عينان وأذنان ويدان ورجلان.. لكن ليس له إلا قلبٌ واحدٌ ولسانٌ واحدٌ!

إلى التي إذا كنَسَت لم تضع التراب تحت البساط!

وإذا تزيّنت حلالًا لم تُصبح امرأة أخرى!

إلى الذين أصابت الأقنعة وجوهَهم بالتسلخات..

إلى البشر الحقيقيين الأحياء.. لا عرائس الخشب عديمة الروح..

وإلى كل من قابلتهم في حياتي: أقاربي وأنسبائي، رفقاء ورفيقات الدراسة والعمل، جيراني، أقراني في الجماعات والمستقلين.. كل من ألهموني هذا الكتاب!

وإلى زوجتي التي عانت معي الحياة وسط الأقنعة وكانت أول من قرأ هذه الكلمات ونصحتني فيها..

إليكم أنتم وإلى نفسي.. أهدي هذه الرسالة..

تمهيد..

منذ أن (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ) وحياة الناس إلى حضيض الإنسانية تنحدرُ بمعدّلٍ مُتسارع! والله لم يظلمهم في ذلك؛ فهُم أفسدوا معيشَتهم ونفوسَهم فحلَّ عليهم العقابُ بهواهم واختيارهم وكامل إرادتهم.. اختاروا الفسادَ فاختاره اللهُ لهم جزاءً وفاقًا! رفع اللهُ الأمانة من بين الناس فخوّنوا الأمينَ وائتمنوا الخائنَ فوقعوا في شرور أعمالهم غارقين! ثم هم يحبون الغرقَ ولا يريدون الوصول إلى بر الأمان والإيمان! وما ذلك إلا (لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)!

وفي ظلِّ عموم انقلاب حقائق الأشياء، ونتيجة للصدأ الذي استشرى كالوباء في معادن الناس؛ كان لابد لهم أن يتصنَّعُوا ما يرونه صالحًا ويدَّعوا الصلاح ذاته ليُسايروا بعضهم بعضًا وتستمر بهم الحياة.. لكنها استمرّت كئيبةً ثقيلةً زائفةً، منزوعةَ البهجةِ والحلاوةِ، عديمةَ الفائدةِ، مشلولةَ العَمارِ، عديمةَ الإحسان!

فمنذ أن خَوَت قلوبُ بني إسرائيل من كمال الإيمان ليجسَّدوا الربَّ عجلًا له خُوار، إلى أن سألوا أن يروا الله جهرةً بنزعةٍ ماديةٍ راسخةٍ لا تريد الاعتراف إلا بما تحس أو تلمس، ولا تعتبر الإيمان شيئًا حتى يكون في جسدٍ من ذهب! ولا تقرّ بقدرة الإله حتى يرفع الجبال فوق الرؤوس تهديدًا ووعيدًا! منذ ذلك الحين

ذهب الإيمانُ بالغيب وطلب الأجر في الآخرة من تجمعات المسلمين (والدين عند الله واحد وكل أتباع الأنبياء مسلمون)، وامتلأت النفوس رغبةً في الماديات وكُفرًا بالمعنويات.. منذ ذلك الحين نبت الزيفُ والادعاءُ مرضًا كاسحًا يُعالجُ الجوعَ إلى الحقيقة التي اختار الناسُ دفنَها وتغييبَها! وكما بدأت الماديةُ تغزو الإيمانَ فإنها شملت جميع مناحي الحياة حتى احتلت المجتمع؛ فمضت نساءُ بني إسرائيل تصنع كعوبًا للنعال من الخشب لتبدو القصيرة طويلة! ومضين يصِلْنَ الشعرَ لتبدو الصلعاء ذات جديلة!

وهكذا توارث المسلمون التصنُّع.. حتى أتى محمد صلى الله عليه وسلم فجدد الله به الإسلام وأعاد التوازن بين المادة والروح إلى حين.. فلما اتَّبع المسلمون اليهود والنصارى حذو القُذَّة بالقُذَّةِ عادت الماديةُ تطغى! وعاد معها التصنع والادعاء مرضَيْن كاسحَيْن يحوِّلان كل من أراد الإيمان كسيحًا في مذبح الناس لا يقوى على النهوض فضلا عن أن ينهض بالناس إلى طريق الله المستقيم!

وقبل العلاج: علينا أن نشخِّص المرض أولا! مرض الزيف والتصنُّع والادعاء الذي يأكل البشرية كلها عربًا وعجمًا، رجالا ونساءًا، مؤمنين وكفَّارا!

لقد تفكَّكت المجتمعاتُ في عالم المسلمين وفي الغرب والشرق، فأصيب البشر كلهم بعدم الرضا عن أي شيء! حتى أجسادهم! فضَرَبَهُم «اضطرابُ التشوه الجسدي Body Dysmorphic disorder».. فكرهت السمراءُ

سمارَها واستخدمت كريمات تفتيح البشرة! وكرهت البيضاءُ بياضَها واستخدمت الشمس لتحصل على اللون البرونزي! واهتمت السمينةُ بوصفات النحافة أو ارتدت ما يحُبُك جسمها حبكًا في حجمٍ أصغر أو أجرت جراحات استئصال وتصغير وشفط! بينما زوّرت النحيفة حجم مفاتنها بملابس تنتفخ إسفنجًا أو أجرت جراحات نفخ وتكبير ومِلء! وقام الأصلعُ يزرع شعرًا، وحلق غزير الشعر رأسه كبطيخة زلقة! ونعّمت خشنةُ الشعر شعرَها، بينما خشَّنت ناعمةُ الشعر شعرَها! ونمصت كثيفةُ الحواجب، بينما أزالت رقيقة الحواجب ما فوق عينيها لترسم حواجبا أخرى سميكة كثيفة! ارتدت القصيرةُ كعبا عاليا أو ارتدت ملابسا مخططة بالطول لتخادع الأبصار فتظهر في أعين الناس أطول مما هي عليه، بينما ارتدت الطويلةُ ملابس مخططة بالعرض لتخادع الأبصار فتظنها قصيرة –ألا يذكرنا التخطيط بكائن ما؟!–.. كل هذا لا يتَّبع المؤمنُ الكافرَ فيه وحسب! بل يتّبعون جميعا الشيطان الرجيم حين قال: (وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا)..

فقراء يؤجِّرون ذهبًا –لا يملكون منه جراما واحدًا– ليوم زفافهم يتفاخرون به، ومعدمون يقدِّسون «النيش» بما فيه من أطباق وأكواب لا يملكون سواها، وهم على استعداد لحفظ الأكل في ملابسهم وغرفِهِ بأيديهم على استخدام ما في هذا النيش المقدس! وعائلات معدمة تشترط على الخاطبين أفراحًا يتحاكي بها

الناس، وشباب قبيحو المنظر يشترطون على زوجاتهم دوام وضع المكياج وكيّ الشعر! رجال ونساء يرتدون ثيابا غالية الثمن على ملابس داخلية ملوثة بالنجاسات! ويضعون روائح جميلة لا من باب التطهُّر ولكن للتغطية على رائحة العرق!

ولم تقتصر نفعية رأس المال من أمراض التصنُّع والتزييف هذه على جيوب أطباء التجميل وشركات مستحضرات الزينة وأكسسوار التزييف الشكلي والمرابين ومتعهدي الأفراح فقط! بل على رأس أباطرة الانتفاع من الزيف والتصنع نجد شركات الأغذية! التي استغلَّت رغبة الفقير في تصنُّع أكل اللحم كالغني؛ فأتت بالدماء والأحشاء لتخلطها مع فول الصويا في ثوب من البهارات والمواد الحافظة لتنتج له «موادا شبيهة بالغذاء food like substance» لكنها ليست كذلك.. يريد أن يأكل البورجر والهوت دوج واللانشون ويتصنع في خياله أنه من الأمريكان الغارقين في بحار اللحوم! فما على شركات الأغذية إلا إنتاج لحوم صناعية وشبه صناعية من الخلطة سالفة الذكر ليُشبع بها الفقير المتصنِّعُ شهوتَه للمحاكاة والانتفاخ بدلا من الرضا وأكل الفول في قناعة! حتى الفول صار يُصنع صنعا في الحقول: تُنفخ بذوره بأسمدة صناعية تعطيها حجما بلا فائدة، ثم في الصناعة يُخلط بنكهات صناعية وألوان! والألبان صارت معلبة ليست لبنًا منزوع الدسم فحسب بل لبن منزوع اللبن! صارت ماءًا ولونا بعد نزع الدسم والمواد الصلبة الذائبة فيها من خلق الله؛ ليُصبح الطفلُ يشرب ما

شكله اللبن لكنه ليس لبنًا! ليتصنع أبوه أنه يسقي أولاده اللبن لكنه لا يفعل! بل يفعل الضد لأن اللبن المبستر طويل الأجل إنما يسحب الكالسيوم من العظام في الحقيقة ولا يدعِّمها! وكذلك البيض وغيره! والملابس ذاتها صارت صناعية تحاكي الطبيعية لكنها مجرد أغلفة بلاستيكية زاهية يلف فيها الناس أجسادهم!.. كل شيء صار زائفًا وكل الناس تتصنَّع أنها تعيش! لكنهم في الحقيقة صاروا آليين في كل شيء، صناعيين حتى في مطعمهم ومشربهم فضلا عن طريقة كلامهم وأفكارهم! الأرض كلها تصنُّع وادعاء زهوٍ بأشياء غير موجودة ولايمكن أن توجد في ظروف الناس الحالية ورضاهم بالوهم نبذًا لوجوب إصلاح الواقع!

عالم مزيف بالكامل صار فيه الإنسان يتصنع حتى وهو نائم وغائب عن الوعي بفعل القصور الذاتي للتمثيل الذي صار خُلقًا ولم يعُد مهنة قاصرة على السينمات والمسارح!

ولقد صار التصنُّع والادعاء مركبًّا متراكمًا بعضه فوق بعض! تراكم التصنُّعُ حتى داخل مهنة التمثيل ذاتها التي هي بالأصل تصنُّعٌ وادعاء! فأستاذ التمثيل الشهير يوسف وهبة حين قال (وما الدنيا إلا مسرحٌ كبيرٌ) إنما كان يتصنَّع حالة شكسبيرية فخمة لم يبلغها بنفسه فقام بتعريب مقولة شكسبير تلك زهوًا بما لم يبتكِر! وأما الأصل فقاله شكسبير على لسان چاك في مسرحيته «كما تحبها»:

(ليست الدنيا إلا مسرح، وكل الرجال والنساء مجرد ممثلون: لهم مخارجهم ومداخلهم في المسرحية، ويلعب المرءُ في حياته عديدًا من الأدوار).. وحتى صاحب تلك الحكمة شكسبير ذاته أثبتت دراساتٌ ذات ثقل أجراها مشاهير كـ مارك توين، هنري چايمس، شارلي شابلن، هيلين كيلر، حتى مالكوم إكس! جميعهم وصفوا شكسبير أنه كان اسمًا مستعارًا لا وجود لصاحبه أو على الأكثر رجلًا أميًّا يتصنَّع الأدب بأمر أحد نبلاء أو نبيلات بلاط الملكة؛ ليطرح ما يكتبه من أسرار البلاط والإسقاطات السياسية الثقيلة في تلك الحقبة على العامة في صورة محببة لهم (المسرحيات) لكن بأمان من المسائلة! كان ذلك في عصر يعتبر الأدب والمسرح هرطقة وتسافل لا يمارسه ويشتغل به؛ بل لا يشاهده إلا السِّفلة والدهماء! كان الأدب والتمثيل مسبَّةً ولم يكن النبيلُ يجرؤ على التصريح بأن ذلك الإنتاج الهائل نتاج قريحته هُو! وعامل آخر أن أكثر تلك المسرحيات مليئة بتفاصيل حقيقية لا يمكن حبكها بهذا الشكل إلا بمراقبة النبلاء وحياتهم وأسرارهم عن قُرب شديد! فاحتاج صاحبها إلى الاختباء خلف قناع وهمي أو وراء دعيٍّ متصنِّع ليقول ما يريد بحرية وأمان! الجميع يتصنَّع! الجميع يحترف التزييف! حدِّثني أكثر عن عدم إيمانك بـ«نظرية المؤامرة» بينما كل شيء أمامك ليس على حقيقته بل يحتاج إلى مراجعة وفحص! الحياة كلها على هذه الأرض مهددة بمؤامرة شيطانية كُبرى أعلنها إبليس اللعين على آدم على السلام

ويستكمل إحكام حلقاتها على ذريته بمعونة شياطين الإنس والجن (يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُورًا).

ومن الإنصاف بيان أن شكسبير هو شخصية مُنتحلة نعم.. لكن ليس من أجل الإفساد بل من أجل غاية نبيلة هي: العَرض الآمِن لمنهج هو أحسن من منهج الناس في وقته؛ بينما متصنعو اليوم وزائفوه ينتحلون منهجًا أحسن من منهج الناس في الظاهر يأخذون بعضه من قشوره ويتركون كُلَّه من أصوله وذلك ليخدعوا به الناس ويجرُّوهم إلى مناهج الفساد التام الكامل. وإن من كان وراء شكسبير هو أهدى منهم في ذلك سبيلا!

في جزيرة العرب.. حين اجتاح الاستعمار الغربي سواحلها الشرقية المطلّة على الخليج فحكم موانيها، ونخر بعملائه في عباب صحاريها، وصار السيد الغربي الصليبي يتنزه في أراضيها برفقة خُدَّامه من العرب ويحتاج ليأكل ويفرش شرشف النزهة الخاص على رمالها ليجلس ويأكل محافظا على ثيابه وطعامه؛ فحين ينتهي كان الخادم العربي ينفض الشرشرف ثم يجعله غطاء لرأسه تماما كما أن المستعمر صار سيده وتاج رأسه! ومع مرور الأيام ونشوء مكيدة استقلال جزيرة العرب عن الخلافة العثمانية ثم خديعة استقلالها عن الاستعمار الغربي؛ كان الخادم العربي بعد جلوسه على كرسي الإمارة لا يزال يحمل فوق رأسه رمز العبودية لسيدة الغربي! كان لا يزال يحمل شرشرف النزهة فوق رأسه! فأسماه

غترةً وأسماه شماغًا، وعَقَل عَقْلَه بعقال البعير ليكف عن التفكير في الحقيقة ويتصنع الكرامة؛ بينما هو يرزح في نير احتلال سياسي واقتصادي مُهين! تصنّع الكرامة وجعل الشرشف وعقال الناقة شعارًا وطنيا! ونظر بازدراء لمن لا يرتديهما، وجعل نفسه كفيلًا وسيدًا لكل من لم ينشأ تحت الشرشف مقيدًا بالعقال! بينما هو في الحقيقة يداري بتصنُّعه نقصَ نفسه وحقيقةَ مذلّته وتبعيته المستمرة للغرب وأذنابه!

وفي الشام.. حين اجتاح الاستعمار الغربي مدنها وقراها ورفع كفارها فوق مؤمنيها، وكَبَتَ كل ثورة قامت عليه، ثم أسلم القط مفتاح الكرار: فأعطى مفاتيح حكمها للنصارى والعلويين والدروز باسم الناصرية تارة، وباسم البعث تارة، ودق إسفين اليهود فيها.. قام حكام سوريا ولبنان يزعمون أنهم محور الممانعة والمقاومة ضد العدو الصهيوني! كذبة تصنَّعوها ليداروا بها نقص خزيهم وعمالتهم للغرب وقيامهم على أكمل وجه بحماية حدود إسرائيل.. وما هذه المانعة في حقيقتها إلا ممانعة الحمل من اليهود بعد طول سفاح!

وفي العراق.. حين جعلها الاستعمارُ فاصل عودة التئام جسد الأمة العربية برأسها التركي بعد تفتيت الخلافة؛ كان لابد لخزي الاستعمار أن يجد طريقًا يتصنَّع به الشرف في نفوس الأذلّاء! فقام أذناب الاستعمار يزعمون دفاعهم عن القومية العربية وأسموا إماتتهم للإسلام باسم البعث! وهكذا كل اسم سمَّاه

ناقصٌ: لابد أن تكون حقيقته الأصلية بين حروفه هي مقلوب معناه، ذلك المعنى الذي استتر به صاحب الخزي حين تصنع به الشرف! ورغم أن البعث كان في سوريا وفي العراق إلا أنه في الإقليمين كان مواتًا محقَّقًا وكانا على خلاف!

وفي مصر والمغرب العربي قامت الثورات! وهي ليست ثورات من باب (ثار يثور) من أجل الحق بل هي ثورة من جهة تأثنيث (الثور) الذي يحكم فيهيج في البلاد طغيانا وفسادا باسم الإصلاح والبناء والتعمير ومحاربة الإقطاع والرجعية!

وما كل حكام ثورات ما قبل وبعد الاستقلال منذ 60 سنة إلا طواغيت تلبسوا باسم الثورة جريا على فعل اليهود الأول من عبادتهم عجلا ثورا ذهبيا له خوار!

كل هذه مظاهر تصنُّع وادعاء ومحبة للحمد لما ليس فينا نمارسها جميعا كشعوب وبلدان ومجتمعات وأفراد! فلا أحسب أنه يمكنك استغراب كلامي القادم في رسالتي هذه عن النفاق الذي يمارسه أدعياء التدين؟! أليس الدين تاج الحياة؟! أليس هؤلاء البشر إذا كانوا بهذا القدر من التزييف في كل شؤون حياتهم لابد لهم من تضييع الدين وتزييفه هو الآخر، واستخدامه قشرةً تحوي ما ليس منها، وعنوانا يضم تحته ما ليس فيه، وجاذبا للخداع يعدُك بها لا تجد!

في هذا العالم المزيف كان للبشر الذين يزيِّفون من أجل المادة أن يزيفوا من أجل الروح! بل لابد لمن زيف المادة أن يحاول تزييف الروح! لن ينجح! لأن الروح لا تتغير وليس لها كيانٌ يستطيع الإنسان صبغه وتشكيله! صار كل الملموس والمحسوس مزيفًا: بدءًا من الطعام والشراب والملابس، حتى القيم والسلوكيات! ولولا أن المؤمن يثقُ بالغيب وأن الناس لا يطالون الغيب من جنة ونار وملأ أعلى.. لولا ذلك ما بقي للناس ثقة في شيء! فلو استطاعت هذه البشرية المتصنعة لزيّفت الغيبَ ذاته! صحيحٌ أنهم يحاولون عبر الدجل والتجارة بالدين! لكنهم فقط يزيفون صورة الغيب في أذهان الناس، بينما الغيب ذاته في مأمن وسيبقى على حقيقته حتى يكشف الله عنه الغطاء فنراه يوم القيامة ثم يخلد فيه الناس جميعا بين نعيم وعذاب.

محاولات كثيرة ناجحة لتزييف كل شيء حاولها الناسُ؛ فنجحوا وفشلوا.. وفي هذه الرسالة سأحدثك عن أخطر محاولات التزييف، وسأسميها باسمها الذي أراه مناسبًا لها، وهو أولى من كل اسم سماه لها الأدعياء والمنتفعون.. فخُذ نفسًا طويلًا وتعال إلى أعماق نفسي ونفسك والنفوس حولنا.. تعال معي..

مدخل..

أقول دومًا: أن الغرض مما أكتبه بيان زيف الأدعياء وأنهم لا يتصلون بالعلم من قريب أو بعيد لكنهم ينتحلونه انتحالا ويتخذونه مركبا للكيد للإسلام وطعن المسلمين في ظهورهم بطريقة تبدو كأنها النصيحة والحرص، وتنتحل صورة الاجتهاد، وتظهر بمظهر أصولي يكسبها مصداقية لدى المستغفَلِين من محبي الدين ويعطيها قوة الاعتراض على أفعال المتحركين بالدين..

أقول: أومِنُ كما قال صلى الله عليه وسلم أن الخير فيه وفي أمّته إلى يوم القيامة.. وأرى وأشهد أن الملتزمين بالهَدي الظاهر –التديُّن المظهري– قد خاضوا غمار المعاناة طويلا ولا يزالون يخوضونها سواء في مصر أو في كل أرض الله التي غاب عنها حكم الله إلى حين! وأومِنُ أن المحافظةَ على الهدي الظاهر ولاشك مما يغيظ الكفّار خاصة المصابين بالإسلاموفوبيا! فهو أجر بلاشك وهو خير ولا اعتراض..

ولقد رأيت نماذجا عظيمة الإيمان في أهل الهدي الظاهر كما رأيت في غيرهم.. لكن حديثي في رسالتي هذه ليس عن الذي توّج إيمانه الباطن بظاهر الإيمان، ولكن عن الذي يحيا بشخصيتين في ذات الوقت.. فهو إما منافقٌ يُظهر للناس ما لا يعتقد؛ ليجني من وراء مظهره المكاسب ويتوقّى المسبّات! أو هو سيكوباتيٌّ حقيقيٌّ معذور بجنونه لأنه في كل ساعة بشخصية لا تدري عن

الأخرى شيئًا؛ فلا بأس أن تناقض شخصياتُه بعضُها بعضًا ويكون لكل منهما حقيقة وحال مختلف عن الأخرى! فأنَّى لهذين الصنفين –المنافق والسيكوباتي– أن ينفعا الأمة بشيء: وإن كان المجنون خير من المنافق وهو معذور ولاشك! وربما كان الذي يناقض نفسه ضعيف الدين جاهلا؛ يحسب أن الدين قشرة لا لُبَّ لها.. فهذا وإن كنتُ عن نفسي أتعجبُ من وجوده وإبقائه على نفسه بتلك الحالة؛ إلا أنه مسكين ينبغي له الاهتمام بحالته المتناقضة تلك قبل أن يؤول حاله إلى النفاق أو الجنون! ولعن اللهُ ذا الوجهين!

وكما قال محمد الخضر حسين –رحمه اللهُ–: «يتخذ الرجل وجهين متى كان يطمح إلى ما في أيدي الناس من متاع، أو كان يطمع في إرضاء طوائف على تباعد ما بينهم من نزعات، وعلى شدة ما بينهم من اختلاف. والعبور إلى النفع على جسر من المداهنة يحرم صاحبه من أعز متاع هو الصدق، بعد أن يحرمه من أطيب لذة هي ارتياح الضمير. ومن كان حريصًا على أن يكون صديق الطوائف المتباينة، فإن الطيب منهم يأبى أن يلوث صدره بصداقة من يتملّق الخبيث» [رسائل الإصلاح، ج1، المداراة والمداهنة، ص135] وقد كان صاحبُ هذه الكلمات خير عامل بما يقول: فقد كان رحمه اللهُ آخر شيوخ الأزهر بالانتخاب وكان تونسيا يعبِّر عن وحدة المسلمين ولم يكن مصريًّا وفق حدود سايكس بيكو الضيقة! وقام رحمه الله فجابه عبد الناصر عندما ألغى القضاء الشرعي في 1954؛ فلمَّا أبى ناصر إلا أن ينحي حكم الله تماما من حياة الناس لم يداهنه

الشيخ؛ وأبى أن يلوث صدره بتملق الخبيث! فصدع بالحق عاليًا ثم استقال.. ومن يومها ومنصب شيخ الأزهر يأتي بالتعيين ليكون تحت جناح النظام ولا يأتي بالانتخاب!

وليس إشهار مصطلح «السولوفانية» دلالةً على التزييف والتصنُّع في رسالتي هذه تهكُّما على السلفية! بل الإشكال أكبر من ذلك والخطر أعظم والكارثة أعم وأشمل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.. وأنا بهذا المصطلح أوضح حقيقة حالة من الحالات ومفهوم من المفاهيم هو «الالتزام» ذلك المصطلح الذي ابتدعه شيوخُ السلفية المنافقون والشيوخُ الرسميُّون الأفّاكون ودعاةُ المترفين المأجورون ليجرفوا الناس بها بعيدًا عن الأصولية ذاتها! بل عن الاعتدال في حقيقته! بل عن حقيقة الإسلام! وهذه الحالات المنحرفة والمفاهيم المغلوطة تظهر في جميع الناس على مختلف المشارب وتعدد التوجُّهات، لكن أدعياء الأصولية أولى بتوجيه النقد وتصويبه لهم؛ لأنّهم يدّعون كمال المنهج ويزعمون شدّة الاتباع للأنبياء والأولياء.. والله المستعان.

ابق معي أخي فإنني لا أتحدث هنا عن الذين يكافحون من أجل إصلاح أنفسهم وغيرهم؛ فيُصيبون ويُخطئون، وخير الخطائين التوابون! ولكني أصف هنا حال من يعيشون حرامًا ويلبسون إحرامًا! أو يحيون كالحيَّةِ ويستترون بلحيةٍ! أو تنعقُ غرابًا وتدَّعي نقابًا! أصفُ هؤلاء المزيفين بأنواعهم..

أسماء سمّيتموها!

أتكلم هنا عن مفهوم وحالة «الالتزام» = «التديُّن»..

فكعادة أي هارب من أحكام الشريعة ابتكر السلفيون الزائفون وصفًا جديدًا؛ ابتدعوه ابتداعا لوصف أنفسهم وللتعبير عن التمسك بالدين! فتركوا وصف «الإحسان» وعزفوا عن وصف «الإيمان» وهجروا وصف «الإسلام» ليبتدعوا وصف «الالتزام»! الذي لا أدري عن أي درجات الطاعة الثلاث سالفة الذكر يعبر؟!وإذا دققت في مدلول هذا الوصف وجدته شكليًّا! فيبقى الملتزمُ ملتزمًا! طالما حافظ على الصورة الظاهرة للفئة مدعية السلفية؛ التي تتجسد غالبا في اللحية والقميص القصير والنقاب ومداومة الصلاة في المسجد والأذكار الوظيفية وإكثار النوافل وحفظ القرآن؛ ويبقى موصوفًا بالالتزام – ذلك الوصف الذي يوهم بالإيمان– مهما ارتكب من مخالفات تقدح في الإسلام والإيمان والإحسان، أو مهما ارتكب من أفعال وخزايا توجب وصفه بالكفر والفسوق والعصيان.. بل بالفجور أحيانا كثيرة؛ فقط طالما حافظ على هذا المظهر! أو بالأصح طالما التزم بما يمليه عليه الشيوخ في أمر نفسه وأسرته وفي نوازل الأمة.

وهذا إن دل على شيء فإنما ينبئنا عن أن مفهوم السلفية الآن عمليًّا لم يعُد كما كان أيام السلف رضي الله عنهم: من شدة التمسُّك بما كان عليه الأنبياء

والصحابة وأئمة الدين اعتقادًا وقولا وعملا؛ بل صار هو «التدين الشكلي» أو «التزام الهدي الظاهر» بصرف النظر عن الالتزام الحقيقي بواجبات الدين العملية وسلوكياته الحياتية بل ربما بعقائده! بل ربما اقتصر مفهوم «الالتزام» هذا على ما يقرره شيوخ الزيف من مواقف؛ مهما قدم هذا الملتزم في سبيل ذلك الالتزام بقرارات البشر من تنازلات في حق الله العزيز الحميد؛ حتى لو ترك الهدي الظاهر ذاته في سبيل قرارات شيوخه! نسوا أن الاستقامة في الآية (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) إنما تكون استقامةً على صراط الله المستقيم الذي ندعوه سبع عشرة مرة كل يوم ليهدينا الاستقامة عليه! ولا تكون الاستقامة أبدًا على أهواء البشر وأغراضهم! لأن أهواء البشر ذاتها لا تستقيم حتى تكون تبعًا لما جاء به محمّد صلى الله عليه وسلم.

هو سمّاكم المسلمين..

الانحراف بالتسمية يُراد به الانحراف بالمفهوم.. لأن المفاهيم تنغرس في الوجدان بارتباطٍ شرطيٍّ: فيتطرق المعنى إلى الذهن فور ذكر الكلمة.. فالأصل أن الذي يصلي ويصوم ويزكي ويحج بعد أن شهد الشهادتين فهو «المسلم»! لا حاجة له في اسم آخر، وهو إن لم يفعل أكثر من ذلك فلن ينال شرفًا ولا اسمًا آخر! لأن الأعراب قدموا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ينعتون أنفسهم بالإيمان بينما لاتزال في أخلاقهم غلظة الجاهلية؛ فنفى الله عنهم اسما إلا مجرد الإسلام! (قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللهَّ وَرَسُولَهُ لاَ يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ).. ونفي الإيمان عنهم هنا ليس معناه أنهم قد كفروا! ولكن معناه أن الإيمان درجة في الطاعة أعظم من مجرّد الدخول في الإسلام!

أما من ظهر في أفعاله ثمرات الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره فهو «المؤمن» قال تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهَّ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهَّ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) فكيف يسعى المتناقضُ الجبانُ البخيلُ بائعُ دينَه بعرضٍ من الدنيا قليل إلى مسمىً أعلى من مسمى الإسلام؟! إن مسمى «الإيمان» شريف يحتاج أعمالا شريفة..

ولأن اليقين والجهاد بالمال والنفس فروض هي الأخرى؛ فإن الحصول على مسمى أشرف من الإيمان يحتاج أعمالا أكثر وأقدر على الترقية من تلك الأعمال قال تعالى (الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الُمحْسِنِينَ) فالصدقات والصبر والعفو ترفع المؤمن إلى مرتبة «الإحسان»..

ومن المظهرية القشرية أيضا قصرُ الصدقات والنفقات في مفهومها الدارج على العطاء بالمال فقط! فهي ليست كذلك بل في كل ما تستطيع وإن لم تملك المال ولا السلطان.. قال صلى الله عليه وسلم: «ليس مِن نفسٍ ابنِ آدَمَ إلَّا عليها صدقةٌ في كلِّ يومٍ طلَعَت فيه الشَّمسُ» قيل: يا رسولَ اللهِ ومِن أينَ لنا صدقةٌ نتصدَّقُ بها ؟ فقال: «إنَّ أبوابَ الخيرِ لكثيرةٌ: التَّسبيحُ والتَّحميدُ والتَّكبيرُ والتَّهليلُ، والأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عنِ المنكَرِ، وتُميطُ الأذى عن الطَّريقِ، وتُسمِعُ الأصَمَّ، وتَهدي الأعمى، وتدُلُّ المستدِلَّ على حاجتِه، وتسعى بشدَّةِ ساقَيْكَ مع اللَّهفانِ المستغيثِ، وتحمِلُ بشدَّةِ ذراعَيْكَ مع الضَّعيفِ؛ فهذا كلُّه صدقةٌ منك على نفسِك». فما بالك بمن يتصدق بماله فقط ثم يمنّ ويؤذي ويحسب نفسه ملتزمًا «مُحسنًا»؟!. فـ«المنّ»: هو أن يعيّرك بعطائه بالكلام الصريح فيقول إذا خالفته في أمر (ألم أفعل لك كذا وكذا؟!) مثلا، و«الأذى»: مِنْهُ بالكلام كأن يعيرك بفقرك همزًا ولمزًا يقول: (ألا تعمل؟) (ألا تكفي نفسك؟)، ومنه بالأفعال كالصدِّ وعدم مراعاة حقوقك الشرعية والعرفية

لمجرد كونك فقيرًا يُعطيك! بينما العطاء لا ينفي الحقوق! ثم يريدك هذا المتصدق الزائف أن توافقه في أهوائه ثمنا لعطائه كأنه يشتريك، وكأنه يعطيك من خزانته لا مما عند الله الذي آتاه إياه موصلا لك! يقول الناس (منه له، جاي رايح منه له) يعرف الناس أن المال وديعة من الله يستردها متى شاء! لكن هذا الملتزم المزيف يحسب نفسه ربًّا فيشترط الطاعة نتيجة للعطاء! رغم أن الله ذاته يُعطي المؤمن والكافر ولا يشترط الطاعة (كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً)..

وأيضًا كي يكون المرء محسنًا عليه أن يُنفق لوجه الله مهما كانت الحالة التي يمر بها والظروف التي تحيطه.. فالسرّاء ليست الغنى والضرَّاء ليست الفقر! بل السرَّاء هي الحالة التي تسرُّك بصرف النظر عن المال؛ كأن تكون معافىً في صحتك راضيا بقلة المال، والضرَّاء هي الحالة التي تضرُّك بصرف النظر عن المال أيضًا؛ كأن تكون غنيًّا لكنك لا تُنجب مثلا أو مصابا بمرض عُضال.. واللهُ وصفَ المؤمنَ بالإحسان إذا لم تشغله المضرّة عن العطاء ولم تلهيه المسرّة عن العطاء كذلك.. ينبغي للذي ينفق ماله أن يرضى بقضاء الله في نفسه وكذلك يعلم أنه من قضاء الله لغيره ويعمل في إطار هذا الرضا: فمن الناس من يسخط أو يكسُل مع البلاء فلا يعطي من ماله أو علمه أو صحته؛ وفيهم قال الله (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللهَّ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِينُ)، ومنهم من يبطر أو

يتلهّى مع النعمة فينسى العطاء من ماله أو علمه أو صحته؛ وفيهم قال الله (وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللهَّ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُم مُّعْرِضُونَ)..

أمثلة من عصر السلف..

نسمع دومًا مقولة (الدين المُعاملة) فيا تُرى ما هي «المعاملة»؟!. أهي معاملة الناس التي يحصر العامة فيها الدين فيعتبرون لَبِقَ الحديث المجامل أكثر دينا من الانطوائي العصبي؛ وإن كان الأول لا يصلِّي والأخير يصلِّي؟! تُرى هل «المعاملة» هي مثيل «الالتزام» في تزييف المفاهيم وحصر الإسلام في قوالب فاسدة على هوى الناس؟! وهل هناك مفاهيم أخرى تم الانحراف بها عن معناها؟!. وهل ابتدعتُ من نفسي القول بفساد مفهوم الالتزام أم أن هناك أئمة من السلف قالوا أيضا بتزييف الناس للمفاهيم على هواهم ليُقَوْلِبُوا الدين ويحصروه فيما يريدون؟!. تعال معي رفيقًا واقرأ المقطوعة القادمة تلك من كتاب (مختصر منهاج القاصدين) لابن قدامة (الأب)، والذي استقاه من كتاب (منهاج القاصدين) لابن الجوزي؛ الذي نقّحه بدوره وزاد عليه من الكتاب الأصل الذي نُقشت فيه تلك اللوحة المبصرة الرائعة وهو (الإحياء) للغزالي.. ثلاث أئمة من مشارب مختلفة! فالغزالي متصوف عقلاني، وابن الجوزي قاصٌّ واعِظ، وابن قدامة أصولي مذهبي! ثلاث اتجاهات تتفق وتفترق؛ لكنها ترى خطورة انحراف المفاهيم؟!. فأين أنت من هذه المشكلة الخطيرة؟!.. تعال فشاهد بعين قلبك سلسلة التزييف التي ندور في رحاها منذ قرون ولابد لها أن تنكسر لنعود إلى الأصل الصافي والمعين الرائق للإسلام العظيم..

قال ابن قدامة رحمه الله: «فصل [في علم المعاملة]

فأما علم المعاملة وهو علم أحوال القلب، كالخوف، والرجاء، والرضى، والصدق، والإخلاص وغير ذلك، فهذا العلم ارتفع به كبار العلماء، وبتحقيقه اشتهرت أذكارهم، كسفيان [الثوري]، وأبى حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد.

وإنما انحطت رتبة الـمُسَمَّين بالفقهاء والعلماء عن تلك المقامات، لتشاغلهم بصورة العلم من غير أخذ على النفس أن تبلغ إلى حقائقه وتعمل بخفاياه.

وأنت تجد الفقيه يتكلم فى الظِّهار، واللِّعان، والسبع، والرمى، ويفرِّع التفريعات التي تمضى الدهور فيها ولا يحتاج إلى مسألة منها، ولا يتكلم فى الإخلاص، ولا يحذر من الرياء، وهذا عليه فرض عين، لأن في إهمالِه هلاكُه، والأول فرض كفاية. ولو أنه سُئِل عن عِلَّة ترك المناقشة للنفس فى الإخلاص والرياء لم يكن له جواب. ولو سئل عن علة تشاغله بمسائل اللعان والرمى، لقال: هذا فرض كفاية، ولقد صدق، ولكن خفي عليه أن الحساب فرض كفاية أيضاً، فهلا تشاغل به، وإنما تُبَهْرِج عليه النفسُ، لأن مقصودَها من الرياء والسمعة يحصل بالمناظرة، لا بالحساب.

واعلم: أنه بُدِّلَت ألفاظٌ وحُرِّفَتْ، ونُقلت إلى معان لم يُردها السلفُ الصالح.

فمن ذلك: (الفِقه)، فإنهم تصرفوا فيه بالتخصيص، فخصوه بمعرفة الفروع وعِلَلِهَا، ولقد كان اسم الفقه فى العصر الأول منطلقاً على علم طريق الآخرة، ومعرفة دقائق آفات النفوس، ومفسدات الأعمال، وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا، وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة، واستيلاء الخوف على القلب.

ولذلك قال الحسن [البصري] رحمه الله: إنما الفقيه الزاهد فى الدنيا، الراغب فى الآخرة، البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه، الوَرِع الكافُّ عن أعراض المسلمين، العفيف عن أموالهم، الناصح لهم.

فكان إطلاقهم اسم الفقه على علم الآخرة أكثر، لأنه لم يكن متناوِلًا للفتاوى، ولكن كان متناوِلًا لذلك بطريق العموم والشمول، فثار من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد لعلم الفتاوى الظاهرة، والإِعراض عن علم المعاملة للآخرة.

اللفظ الثاني: (العِلم). فقد كان ذلك يطلق على العلم بالله تعالى وبآياته، آي: نعمه وأفعاله فى عباده، فخصُّوه وسموا به الغالب المناظر فى مسائل الفقه وإن كان جاهلاً بالتفسير والأخبار.

اللفظ الثالث: (التوحيد): وقد كان ذلك إشارة إلى أن ترى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع الالتفات إلى الأسباب والوسائط، فيثمر ذلك التوكل

والرضى وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام فى الأصول، وذلك من المنكرات عند السلف.

اللفظ الرابع: (التذكير والذكر). قال تعالى: (وَذكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ المُؤمنينَ).

وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر» فنقلوا ذلك إلى القَصَصِ وما يحتوى عليه اليوم مجلس القاصّ من الشَّطحِ والطَّامات.

ومَنْ تَشَاغَلَ فى وعظة بذكر قصص الأولين، فليعلم أن أكثر ما يحكى فى ذلك لا يثبت، كما ينقلون أن يوسف عليه السلام حل تِكَّته، وأنه رأى يعقوبَ عاضًّا على يده، وأن داود جهز أوريا حتى قُتِل، فمثل هذا يضر سماعُه.

وأما الشطح والطامات: فمن أشد ما يؤذى العوام، لأنها تشمل على ذكر المحبة والوصال وألم الفراق، وعامة الحاضرين أجلاف، بواطنهم محشوة بالشهوات وحب الصور، فلا يحرك ذلك من قلوبهم إلا ما هو مستكن فى نفوسهم، فيشتعل فيها نار الشهوة، فيصيحون، وكل ذلك فساد.

وربما احتوى الشطح على الدعاوى العريضة فى محبة الله تعالى، وفى هذا ضرر عظيم. وقد ترك جماعة من الفلاحين فلاحتهم، وأظهروا مثل هذه الدعاوى.

اللفظ الخامس: (الحكمة). والحكمة: العلمُ والعمل به. قال ابن قتيبة رحمة الله: لا يكون الرجل حكيما حتى يجمع العلم والعمل. وقد صار هذا الاسم يطلق فى هذا الزمان على الطبيب والمُنَجِّم» [مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة، 1/ 18، 19].

فانظر كيف رأى هؤلاء الثلاثةُ الأئمةُ أهميةَ الكلام عن تزييف المفاهيم! بل لقد اهتم ابن الجوزي وابن قدامة بكلام الغزالي في ذلك الشأن رغم مخالفتهم الغزالي في كثير من الأمور والمناهج والأحكام! اهتموا للخير الذي في كلامه حتى نقُّوه مما يرون فساده وحرصوا على نشره وتعريف الناس به! لكن السلولوفانيين اليوم يئدون كل ما لا يخدمهم ولا يرون أي ذرة من الخير في مخالفيهم! ولقد حضرت يومًا درسا لأحد كبار شيوخ السولوفانيين سنة 2011 في منطقة سيدي بشر وكان يقرأ من الكتاب بعد صلاة الفجر؛ فتوقف قليلا وأخذ يقلِّب الكتاب في يده ثم قال (لولا ما في هذه الزبالات من بعض النفع ما اهتممنا بها)! فانظر إلى المصاب بالأمراض التي يحذِّر منها الكتاب كيف يرى نفسه بريئًا؟! وكيف يرى الكتاب دنيئًا؟! وكيف يرى تحذيرات الأئمة الثلاثة بغير فائدة كبيرة؟! ولا حرج على أعمى البصر لكن أعمه القلب لا ينجو ولا ينتفع بنصيحة الناصحين! فهل السولوفانيون على منهج السلف في العلم والعمل والدعوة؟!. اللهم لا! انظر كيف توارث الناسُ المفاهيم المزيفة من أيام

السلف إلى يومنا لأنهم لم يلتفتوا إلى أهمية حراسة تلك المفاهيم من أهواء الناس!

فانتبهوا رجاءً!

الشيخ والقارئ..

ولنتخذ مثالا واقعيًا نناقش فيه عملا ظاهرًا محدَّدًا أخرجه الناس عن معناه وغرضه إلى معنىً آخر وغرضٍ مغاير.. فحفظ القرآن مثلا ليس هو طريق الخلاص ولكن العمل به! ومهما ردَّد الإنسان آياته دون عمل بها فهو ببغاء وليس عابدًا قانتًا، وربما انتقل من صفة الببغاء إلى صفة التناقض إذا خالف سلوكُه تشريعات ذلك القرآن العظيم عامدًا واعيًا؛ كما قال صلى الله عليه وسلم «أكثرُ مُنافِقِي أُمَّتي قُرَّاؤُها» فأكثر من يخدع الناس من أجل الدنيا ويتجمّل أمامهم بالقرآن لإخفاء حقيقة نفسه هم أدعياء العمل بالقرآن «وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: كَالرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ»! بينما هم يحملونه فقط (كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)! ونجد من المفسرين من فسر «تلاوة القرآن» في مواضع من كلام الله بأنها «اتباع القرآن» لا «قراءته»، قال القرطبيُّ رحمه الله: «واختُلِفَ في معنى (يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ) فقيل: يتَّبعونه حق اتِّباعه، باتباع الأمر والنهي، فيحلِّلُون حلالَه، ويحرِّمُون حرامَه، ويعملون بما تضمَّنه، قالَهُ عِكْرِمَةُ. قال عِكْرِمَةُ: أما سمعت قول الله تعالى: (وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا) أي أتبعها، وهو معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما» [الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص92]. وكما قال الراغب الأصفهاني: «التلاوة تختص باتباع كتب الله المنزلة، تارة بالقراءة، وتارة

بالارتسام لما فيها من أمر ونهي، وترغيب وترهيب، أو ما يتوهم فيه ذلك، وهو أخص من القراءة فكل تلاوة قراءة وليس كل قراءة تلاوة» [مفردات ألفاظ القرآن، ص167]. وكما نقول في لغتنا (فلان التالي) يعني الذي يأتي بعده، فالتلاوة معناها الأصلي أن هؤلاء الذين يتلون القرآن هم الذين يأتون فيتبعون القرآن: يعملون بتعاليمه، ويقتدون بمن جاء قصصهم فيه!

وداء نفخ العَظَمَةِ في حافظ الكلمات وإن لم يعمل بها هو داء مستشرٍ؛ لا نزال نعاني منه، فإن أكثر الناس يتخذون استظهار القرآن دليلا على التقوى! فتسمع الناس خلف القاريء متعاطي الحشيش في صوان العزاء وفي الموالد وهم يهتفون «الله.. الله.. يا عم الشيخ»، وتجدهم ينافحون عن مخبر لأمن الدولة يدل على أهل المسجد بأن صوته حسن في تلاوة التروايح ويصلي خلفه أعداد مهولة يأتون ليسمعوا غناءه مفتقد العمل! بينما التقوى لا تتحقق إلا بالعمل به! وكلمة «قاريء» ذاتها وصف دقيق من النبي صلى الله عليه وسلم! فهو قد وَصَفَ الظاهرَ لنا –وهو فِعل القراءة– ولم ينعت حافظ القرآن بالعالم ولا بالشيخ! بينما في عصرنا نجد من حفظ البقرة وآل عمران صار شيخًا يستفتيه الناس في قضايا الإيمان والكفر وفي الطهارة والبيوع والنكاح! وهذا من غفلة أهل زماننا وانتشار النفاق فيهم والله!

أما الصحابة رضي الله عنهم فكانوا يدركون الفارق بين «قاريء» و«عالم»: فأسموا شهداء «بئر معونة» القرّاءَ لأنهم كانوا من حملة القرآن، وأسموا شهداء «يوم اليمامة» القرّاءَ أيضًا لذات السبب؛ وهؤلاء الصحابة الشهداء رضي الله عنهم على فضلهم وحسن عملهم لم يتم رفعهم لمرتبة فوق مرتبتهم ولم ينعتهم أحد بالعلم والمشيخة! بينما اجتمع الصحابة ومن بعدهم على تسمية أبي بكر وعمر بالشيخين! رغم أنهما على الأصح لم يحفظا القرآن كله! لكن أعمالهما الجليلة وبصائرهما النبيلة حققت لهم وصف «المشيخة»؛ لا كَمّ المحفوظ من القرآن، ولا كثرة إجازات القراءات، ولا الصوت الحسن! ولا اجتماع الناس وهتافهم بأسمائهم وتقبيل أيديهم!.. دين المرء بالكيف لا بالكمّ! وبالحقيقة لا بالمظهر يا إخوة ويا أخوات الإسلام! فإن الصحابة لم يبلغوا ما بلغوه بكثرة صوم ولا صلاة! ولكن بشيء وَقَر في قلوبهم وصدّقه العمل.. ورغم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف الخوارج للصحابة فقال: «يَخرُجُ في هذه الأُمَّةِ (ولَمْ يَقُلْ: مِنْها) قَومٌ تَحقِرُونَ صلاتكُمْ مع صَلاتِهِمْ» يعني كثيروا الصلاة أكثر من الصحابة! إلا أن الخوارج مع ذلك هم « كِلَابُ النَّارِ» فهم كما روى البخاري رحمه الله: «قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ» لكن لفرط فساد قلوبهم رغم صلاح مظهرهم فإن ثواب هذه القراءة مردود مأزور لا يرتفع إلى الله «لَا يُجَاوِزُ حَلَاقِيمَهُمْ» وهذ التزييف والادعاء الذي اعتادوه أدى لأنهم «يَخْرُجُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ» ومن فرط كِبرهم لا يعودون أبدًا إلى الحق الذي هو الإسلام «ثُمَّ لَا

يَعُودُونَ فِيهِ» وهم لذلك «هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ».. فما أشبه هؤلاء القرَّاء وأدعياء العلم المنافقين بالخوارج! خاصة وأنت تجد أكثرهم في المواقف العامة والصراعات بين الأمة وأعدائها تجدهم كما روى مسلم رحمه الله: «يقتلون أهلَ الإسلامِ. ويدعون أهلَ الأوثانِ» وهم في خندق الباطل (وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً).. فيُخشى على مَن كان منهم أو اجتهد مثلهم في الظاهر بلا اعتقاد سليم ولا سلوك قويم أن يكون عملُه كله هباءً منثورا؛ فيكون من أهل الآيات المخوِّفة لكل مجتهد زائف بين سؤال وجواب: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْناً * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً). وإن الرب الذي نهى عن قراءة القرآن في ذُلِّ السجود، لا يقبل أبدًا القرآن ممن يذل ويسجد للطواغيت بكل تأكيد!

السولوفانية!

في الحقيقة إن لفظة «الملتزم» أقرب في دلالتها من لفظة «سولوفاني» وليست «سلفي» ولا «متدين» ولا «مستقيم»! بل «سولوفاني» هي اللفظ الأقوى دلالة على حال أدعياء السلفية أنفسهم! لأنهم مع كثرة التناقضات لا يملكون من السلفية إلا مظهرها؛ تماما كما تجد قطعة حلوى فقيرة الرائحة سيئة الطعم وتحب أن تروجها فتضعها في قطعة سولوفان لامع براق وإن كان شفافا.. فاللمعان يروجها ويكسبها قيمة تغرّ المشترين! لكن شفافية السولوفان لاشك تفضحها لأقوياء البصيرة! هم سولوفانيون نعم.. سولوفانيون وليسو سلفيين! مدينين وليسوا متدينين! سقيمين وليسو مستقيمين!

وكما قال إريك فروم في كتابه [الإنسان بين المظهر والجوهر، ص128]: (غير أن الأفراد غالبا ما لا يكونون على وعي بما هم مكرَّسُون من أجله. وغالبا ما لا يستطيعون أن يُميِّزوا بين عقيدتهم الرسمية وعقيدتهم الحقيقية. وإن تكن سرية غير معلنة. فمثلا إن وُجد رجل يعبد السلطة. بينما يدعو لدين جوهره المحبة. فإن عبادة السلطة هي دينه السرِّي. بينما ما يسمى دينه الرسمي ليس إلا أيديولوجية).. كان فروم يتخذ أوربا المسيحية مثالا لدراسته تلك! لكن للأسف يمكننا القول أن اعتناق السلفيين للسلفية هو اعتناقٌ زائفٌ أيضًا طالما تواجد واستمر الازدواج والتناقض بين المظهر والسلوك بشكل يغلب

على المجتمع السلفيِّ؛ هم أصوليُّون من باب الأيديولوجيا (الفكرة) وليس من باب التديُّن (السلوك)! كما كانت أوربا المسيحية مسيحية من باب الأيديولوجيا وليس من باب التديُّن!

قال سيّد -تقبّله اللهُ-: «إن الإسلام يرسم صورة معينة للحياة البشرية، صورة متكاملة، يحدد فيها النموذج البشري الذي يريد تكوينه، والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية التي تربط هذا المجتمع، ونظام الحكم والعلاقات الدولية التي تنظم الحياة العامة. هذه الصورة المعينة التي يرسمها الإسلام للحياة لا يمكن تحقيقها بمجرد قراءة القرآن تجويدًا وترتيلاً، ولا بمجرد تسبيح الله بكرة وأصيلا، إنما هي تتحقق بترجمة المدلولات القرآنية إلى واقع عملي في حياة البشر، وبترجمة التسبيح إلى حركة وجدانية تتحول إلى حركة منظورة في عالم الواقع، وبترجمة المشاعر إلى صور تعبيرية ليس الهدف فيها هو مجرد التعبير، ولكن ما وراءه من حركة وتطوير... وهذا المعنى كان مستقرًّا تلقائيًّا في نفوس رجال الصدر الأول -رضوان الله عليهم- ومن ثم أمكنهم أن يغيروا واقع الحياة في فترة تشبه الأحلام» [في التاريخ فكرة ومنهاج، ص25،26].

وإذا كان كل البشر مخاطبين بالإسلام؛ فإن السولوفانية تمنع من تحقيق الإسلام -فتُبقِي الإنسان على المسمى والقشرة دون عُمق الحقيقة- وهي لا تقتصر على الإسلاميين وحدهم فضلا عن التصاقها بالسفليين! فالسولوفانية في

تعريفها العام: تناقض السلوك أو العقيدة مع المظهر: عن وعيٍّ ليصبح المرءُ فاسقا أو منافقا، أو عن غير وعي ليكون انفصاميا سيكوباتيا!

فنجد السلولوفانية خارج السلفيين لكن في الدائرة الإسلامية تتجلَّى أيضا في ذلك الداعشي الإنترنتي الذي يملأ صفحات التواصل الاجتماعي ليل نهار بصور ذبح الكفّار، بل ذبح المخالفين المسلمين بدعوى البراءة من الشرك وأهله؛ بينما هو موظفٌ مجتهد في توكيل تجاري شهير في بلده مملوك لإسرائيليين متطرفين في صهيونيتهم وليس ليهود فقط! فأين البراءة هنا في لقمة العيش يا أيها السولوفاني؟!

ونجدها تتجلّى أيضًا في ذلك الإخواني الذي تربّى وطالما تغنّى بـ «وأعدُّوا» ثم إذا أمسك رقبة الصهاينة العرب قلّدها قلادة النيل! وأوصلها بالسلامة لمنتجعات التقاعد! حتى تتمكن من الإعداد للانقلاب عليه وخلعه وذبح أهله وعشيرته، بينما هو لم يُعدّ لهم سوى سلميته التي يزعم أنها أقوى من الرصاص – بينما يبدو جليًّا أنها التي حَشَرَتْه في البلّاص!– فأين الإعداد يا أيها السولوفاني؟!

وكذلك نجد السولوفانية تتجلى خارج الدائرة الإسلامية في ذلك الشيوعي الصادح بثوريته ومعارضته للنظام علانية حين يقبل التعيين في كُبرى الشركات الرأسمالية المملوكة لأساطين النظام بوساطة أحد كبار رجال الحزب الحاكم! فيكفر بتكافؤ الفرص وهو خريج بمقبول؛ ليحصل على وظيفة من هو أحق منه

بالواسطة –وبواسطة من؟! أعدائه العلنيِّين!–، ويُصبح تُرسا في ماكينة الرأسمالية المتعفنة! وهو في كل ذلك يقود تظاهرات حقوق العمال وتكافؤ الفرص! فأين مبادئك يا أيها السولوفاني؟!

ونجدها كذلك في الليبرالي الصارخ في وسائل التواصل وفي المحافل الدولية بحقوق الإنسان وحرية التعبير؛ حين يُطالب بذبح المعتصمين والمتظاهرين الإسلاميين وتتبع فلولهم وإلقائهم في السجون بالأحكام الجائرة! ثم هو يُطالب بالإفراج عن آخر ليبرالي مثله أو شيوعي لأنه تم القبض عليه بموجب قانون التظاهر! فأين حقوق الإنسان أم أنها حقوق الإنسان غير المسلم ولا الإسلامي يا أيها السولوفاني؟!

والسولوفانية تعلو بلاشك كترنيمة كنسية حين تجد البابا الذي يقول كتابُه المكدَّس: (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله)؛ تجده واقفا راسخ الأقدام ينصر قيصر العسكري على قيصر الإسلامي بل يقود انقلاب العسكر على الإسلاميين! وأيضًا حين يتجلَّى زهده في الدنيا في صورة صولجان من الذهب الخالص يحتضنه بكفِّه الطريَّة بينما تبرق حول جسده ثيابُه الحريرية الموشَّاة بالجواهر وخيوط الذهب أيضًا! فأين تركك الدنيا للقياصرة يتداولونها بينهم يا أيها السولوفاني؟!

وهناك كذلك «السولوفانية الموسمية» المؤقتة! التي لا يتمسك الفاسد بورقة السولوفان فيها طوال حياته بل العكس! هو يفعل ما يشاء من الفساد علانية ثم

يتسلفن شهرا في العام أو بضعة أسابيع ليكتسب بها طوال العام سمعته الطيبة ويُغطى بعطر تلك الأيام المزعوم على رائحته العفنة طوال العام! بشرط أن تكون هذه السلولوفانة برّاقة جدًّا أو شديدة الإغراء للناس! كالراقصة التي تحج بمال الرقص أو تصنع كل رمضان «مائدة رحمن» فتطعم الآلاف ليهتفوا باسمها!

وأيضًا «السولوفانية الجزئية» التي يمارسها السلولوفاني الجزئي في مسألة واحدة بحياته دون بقية المسائل فلا يكون سولوفانيا كاملا! فترى تاجر المخدرات ذا زبيبة الصلاة، والسكير في المرقص تنهمر النقطة من كفِّه ممسكًا بسبحته، والعباءة العربية لا تفارق أكتاف أمين صندوق الجمعية الخيرية المشهور بسرقاته لأموال الأيتام، والشاذ معتاد الشذوذ الذي لم يتُب ثم هو يسعى ليتزوَّج إسكاتًا لكلام الناس، والشيوعي الذي طالما صدح ليل نهار بأن شعائر الإسلام رجعية متخلفة خاصة ما يتعلق بالنكاح! ثم إذا اضطربت علاقته بزوجته نادى بتعدد الزوجات؛ وتزوج أخرى بالفعل صارخا أن هذا حقه الشرعي! وكذلك العاهرة وهي تحلف بالشرف، والطاغوت وهو يبكي في صلاة الظهر، ومذيع «التوك شو» عميل الشؤون المعنوية للقوات المسلحة وهو يتحدث عن مصداقية الإعلام.. وأشياء كثيرة ومظاهر كثيرة لكنها جزئية لا تُحسِّن من صورة فاعلها جدًّا لكنها تستره في باب من الأبواب التي يسعى فيها فسادًا وإفسادًا! تستره أمام الأغرار بالطبع! أما ذوو البصائر فلا تغرهم المظاهر.

«السلولوفانية» هي التعبير الذي اخترته ليجمع الكفر والفسوق والعصيان إذا تماهوا مع الإيمان واستتروا بمظاهره! بل هو التعبير الأكثر تصويرا في نظري لحالة التناقض بين المتوقَّع والحاصل، وبين الحقيقة والزيف! السولوفانية هي عملية التعبئة والتغليف «سَلْفَنَة» التي يمارسها الكافر والفاسق والعاصي ليظهر بمظهر المؤمن بدلا من «التوبة النصوح» التي يدخل بموجبها حقًّا في حالة الإيمان؛ تماما كحبة البطاطس المحروقة في كيس ترويجي تسويقيٍّ برّاق يشهّيها ويجذبك إليها! السلفيون هم أحق بها وأهلها نعم، لأنهم خير من يمثلها بعمق التناقض وبُعد الفارق بين الحقيقة والمظهر.. لكنها أوسع من ذلك وأبعد.. وتتجلى كلية أو جزئية أو موسمية عند السقيم والسليم..

طالما رنّت الشعارات الضخمة عبر مكبرات الصوت إذا اعتلى السلفيون المنابر؛ يصرخون (العلمُ يهتف بالعمل فإن أجابه وإلَّا ارتحل) بينما هم النموذج الحيّ على التعالم بلا عمل وعلى الجعجعة بلا طحن؛ بل هم النموذج الحي على التناقض بين المعلوم والمعمول.. لا يعرفون «المعلوم» للأسف إلا إذا في مُكَرْمَشًا في الكَفِّ أو في الدُّرج! ولا يعرفون «المعمول» إلا إذا محشوًّا بالعجوة غارقا في السَّمن! ورغم ذلك يهتفون (كل خير في اتباع من سلف، وكل شر في ابتداع من خلف) ويتغنون بأن منهجهم هو (الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة) فإذا ظننت أن ذلك السلف الذي يقصدون مثلا كالإمام أحمد إمام أهل السنة الذي وقف للخليفتين المأمون والمعتصم وقفة الأسد يمنعهما من فتنة الناس عن العقيدة

السليمة؛ فإذا ظننت ذلك الظن وجدت عكسه وضدّه عمليًّا: أن ذلك السلف الذي يقتدون به في الحقيقة هو أحمد بن أبي دؤاد إمام المعتزلة! ذلك الذي أقنع الخليفتين بفتنة الناس عن عقيدتهم الصحيحة وحرَّض على أئمة أهل السنة وأولهم الإمام أحمد بن حنبل فسُجِنُوا وعُذِّبُوا ومنهم من ضُربت أعناقُهم! أحمد وأحمد لكن سلفهم الحقيقي هو أحمد بن أبي دؤاد. وإن «الإيمان» هو ما وقر في القلب وصدّقه العمل وليس ما خرج من الحنجرة وكذّبه العمل!

أين صدق الإيمان الذي ينضح على صاحبه سلوكًا قبل أن يكون مظهرًا كما قال أبو الحسن الندوي –رحمه اللهُ–: «فإذا آمن أحدٌ بالله وشهد أن لا إله إلا الله انقلبت حياتُه ظهرًا لبطنٍ؛ وتغلغل الإيمان في أحشائه وتسرّب إلى جميع عروقه ومشاعره، وجرى منه مجرى الروح والدم واقتلع جراثيم الجاهلية وجذورها؛ وغمر العقل والقلب بفيضانه وجعل منه رجلًا غير الرجل؛ وظهر منه من روائع الإيمان واليقين والصبر والشجاعة ومن خوارق الأفعال والأخلاق ما حيّر العقل والفلسفة وتاريخ الأخلاق، ولا يزال موضع حيرة ودهشة منه إلى الأبد، وعجز العلم عن تعليله بشيء غير الإيمان الكامل العميق» [ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص130]..

وحقًّا فإن الإيمانَ مذهلٌ في ثمرات المؤمنين! لقد أذهل الإيمانُ جمالَ حمدان – رغم بُعده عن الفِكرة الإسلامية– وهو يحلل انطلاقة الصحابة استراتيجيا

ليفتحوا العالم فقال: «إن علينا ابتداء أن نسلِّم –موضوعيًّا- بأن هناك حوافز وقُوى (ميتافيزيقية)، لا تُستَمَدّ من الواقع المادي بل تتخطاه، تكمن خلف هذه الدينامية المتفجرة والحيوية الدافقة. ولاشك أن جذوة الحماس الديني المتقدة هي التي ألهبت خيال (المؤمنين)، حتى تحولت بهم إلى شعلة ملتهبة وتحولوا هم بها إلى مشعل مضيء.. ولكن علينا بعد هذا أن نبحث عن أسباب صلبة مادية» [استراتيجية الاستعمار والتحرير، ص30].

وإن المراقب اليوم يجد السولوفانيين بأنواعهم يمثلون جمهرة غفيرة في أمة الإسلام للأسف! وكأن السولوفانية استكمال لوصفنا اليوم بـ«الغثاء»: وهو القشرة المنتفخة فوق السيل التي تحسبها أرضا ينجيك الاعتصام بها فإذا سَبَحتَ إليها ملهوفًا وجدتها كومةَ قشٍّ طافية لا يزيدك التشبث بها إلا غرقًا! فالسولوفانية هي «الغثائية» في حقيقتها! فأين الثمرات التي تدل على صدق السولوفانيين في إيمانهم؟! أين ما يدل على أنهم الأرض الصلبة التي تغرس فيها الأمة أصولها؟!. هل فيهم إلَّا غثاء يُغرق المستنقذين؟! أي فضل فيما يزعمون من مسماهم القشري البئيس «الالتزام»؟! أين «الاستقامة» الحقيقية العملية الشاملة على أمر الله؟!. الله الذي حين قال (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فإنه أراد الاستقامة على أمره هو لا على أمر وأهواء الناس والشيوخ! إن السولوفانيين قشريون تماما! كقشرة الموز دون لبِّها الغضّ وكقشرة التفّاح دون قلبها الطازج! والقشور بلا لبٍّ هي قمامة في

حقيقتها؛ لا يمكن الانتفاع بها إلا عبر إعادة تدويرها! وما من ثمرة أثمرها هؤلاء إلا مُرَّة كالحنظل أو متعفنةً على شجرتها كأنها شربت من خلاصة الحمأة المتحللة! ومن ثمراتهم تعرفوهم.

الهروب من تهمة التكفير.

فأي شيء يعني وصف «الملتزم»؟!. ذلك الذي يُطلق على المقصِّر العاصي إذا مارس مجرد فروض الإسلام ظاهريا؟! في الحقيقة ربما كان من أطلق لفظ «ملتزم» هاربا من مسمى «الإسلام» حتى لا يُتهم بالتكفير إذا سمى أهل المساجد والقرآن مسلمين ولم يسم بقية المجتمع تارك الصلاة والزكاة الموغل في الفواحش مسلمين؟! وكان حقا عليه لو كان شجاعا أن يواجه المجتمع بقوة الحق الذي يدعي حمله فيسمي من يبغض الإسلام من الزنادقة أعداء الدين كافرًا؛ ألم تكُن هذه سنة إبراهيم والذين معه؟ حين قالوا لقومهم (إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ)، وكذلك يسمي أهل الفواحش فاسقين؛ ألم يسم الله أتباع الطاغوت فاسقين (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ)! ويسمي الذين يتابعون الحاكم إذا بدَّل أحكام الدين (عَبَدَ الطَّاغوتِ) أي: عبيد الطاغوت؛ فإن الله سمَّاهم كذلك وجعل هذه الحالة التي صاروا إليها نوعًا من العذاب والمسخ قَرَنَهُ في آية واحدة مع مسخ القردة والخنازير فقال تبارك وتعالى عن بني إسرائيل لما ارتضوا تبديل أحكام التوراة (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللهِ مَن لَّعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ).. فينبغي استخدام

المسميات الشرعية بدلا من تسمية مظاهر الإسلام المجردة التزاما والهرب من الترقي إلى الإيمان والإحسان لينتج لنا تلك المسوخ المشوهة التي احتلت المنابر وصارت تحسِّن للناس التقصير والجبن والتخاذل وترك مجاهدة الظلم وإصلاح الفساد، وتعايشت شيئا فشيئا مع مظاهر الفساد في المجتمع التي تتوافق مع حقيقة الفساد في باطن أنفسهم؛ وإن دل المظهر الزائف المزخرف على غير ذلك زورًا وادعاءً!

في الحقيقة إن كثيرًا ممن يتسمون باسم «الالتزام» ينبغي أن ينالوا ألقاب الكفر والفسوق والعصيان! بينما كثير ممن لا يمارسون الهدي الظاهر ولا يتسمون باسم «الالتزام» يستحقون أوصاف «الإيمان» و«الإحسان» فضلا عن «الإسلام» لأنهم يبذلون فوق الفروض ويعالجون الآلام في سبيل هذا الدين، أو صبروا على بعض شرائعه في زمنٍ ترى اللحية فيه تحت الصليب والنقاب يرقص أمام لجان انتخاب الطاغوت وإقرار الجبت!

الإرجاء الواضح..

هل كانت كلمة «ملتزم» حين نبتت تعبر عن «المسلم» الذي وصل لدرجة «الإيمان» ثم انحرفت عن غرضها وصارت دلالة على مظهر خارجي فقط؟! أم أنها منذ نبتت كانت ذات غرض خبيث ينحرف بالناس عن الانتماء للفظة «الإسلام» الشريفة، وينجرف بهم عن سيل زيادة «الإيمان»، ويبعدهم مخادعةً عن الوصول إلى درجة «الإحسان»؛ ليحبسهم في قفص ذي مظهر الإيمان مع روح دنسة بكل ركام الفسوق والعصيان؟! نعم ربما كانت منذ بدايتها كذلك لأنها نبتت بالأساس على ألسنة تدور مع الحاكم حيث دار..

فكما أن غرض السولوفاني من سولوفانيته هو التجمُّل فسوقًا أو التدسُّس نفاقًا؛ فإن لصانعي السولوفانية أغراضا أوسع من ذلك وأكبر! تابع معي حال بني إسرائيل حين ضيّق عليهم الفرعونُ حتى (فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ) وحتى خافوا زيادةً وأداموا الدعاء مستخفين بإيمانهم وداعين: (وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) حتى إذا ضاقت عليهم الأرض مستضعفين لا يجدون وليا ولا نصيرا؛ أمرهم الله بإخفاء صلاتهم وبناء بيوت مخصوصة سرية لها أو الصلاة في بيوتهم (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) حتى لا يعرف عنهم

عسكر الفراعنة ويقتلونهم أو يسومونهم سوء العذاب! رغم كل هذه القصة العظيمة التي توجب التخفِّي حال الاستضعاف؛ تجد شيوخ السولوفانية وكبراءها قد أصروا على إلزام مريديهم بإتمام الهدي الظاهر وعلى رأسه اللحية والنقاب والقميص الأبيض القصير؛ وكأنهم يصرون عن عمد على إلباس كل محب للإسلام شارةً أو علامةَ تمييز marker ليعرفه بها الطاغوتُ ويبطش به، أو يمنعه من الوصول إلى مناصب مؤثرة، أو يحرمه العمل في هيئات سيادية يستطيع عبر وجوده فيها إحداث تغيير حقيقي في واقع البلاد وحياة الناس ويسعى لتمكين دين الله في الأرض؛ كما فعل صلاح الدين حين عمل وزيرًا للعُبيديين الروافض ثم استأصل مُلكهم وأعاد مصر إلى الإسلام والسنة.

ألم يدلهم القرآن على التخفي بدينهم من الطواغيت إن كانوا صادقين في دعوى الاستضعاف؟! إذن: أفلا يكون الطاغوت هو الذي أمرهم بإظهار تلك المظاهر في أتباعهم ليعرفوهم؟! لقد رأينا هؤلاء الشيوخ بعد عقود في حضن الطاغوت؛ يلدون له أولادًا وبناتًا يؤيدونه على لجان الاستفتاءات والانتخاب، لكن بعد أن تم قنص الملتحين والمنتقبات الصادقين في تظاهرة بعد تظاهرة واعتصام تلو اعتصام، حتى لم يبق منهم إلا أقل القليل خارج المعتقلات والسجون السرية (عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ).. ولا تكذِّب نظرتي تلك لمسألة الإصرار على نشر الهدي الظاهر؛ قبل أن تقرأ «رواية 1984» جيدًا وتعرف من الذي كان ينشر كتابات زعيم المعارضة؟! بل من الذي ألّف

كتاب المعارضة ذاته؟! لقد كان ذلك هو قائد الأجهزة الأمنية! لينشرها بين الناس ويختبرهم بها؛ فيكشف من منهم لديه مجرد الاستعداد لمعارضة النظام، ويقضي عليه قبل أن يتحرك أو يفكر في التحرك الجدِّي السليم!

وقد ذكر غير واحد من مؤرخي الحركة الإسلامية أن عبد الناصر هو الذي أمر «دار الشروق» بطبع مؤلفات «سيد قطب»! ليصيد بها من يقرأها قبل أن يعمل بها! ولتكون دليل إدانة واضح في بيت من يتم القبض عليه حينها! (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) فنشر اللهُ الحقَّ على يد الباطل!

ولا يخفى على فهم عاقلٍ أن الدين أصلا لم ينزل معتنيا بالمظهر وحده؛ بل جاء بالأساس ليطهر الباطن والجوهر ثم ليتبعهما المظهر في طهارتهما! فلا رسالة أنزلها الله على نبي اهتمت بمظهر الناس دون باطنهم ولا رسالة لنبي إلا الإسلام! والإسلام هو الاستسلام لله في كل شأن لا في مظهر الإنسان وحسب! قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً) فندخل في الإسلام بكافّتنا يعني كلنا، وندخل في كافة شرائعه فلا نأخذ قشرها ونترك لبّها! والسلم في الآية هو «الإسلام» لا السلام مع اليهود؛ كما صوّرته الشؤون المعنوية للقوات المسلحة بدئًا من وقف إطلاق النار الأول في حرب أكتوبر مرورا بإبرام معاهد السلام مع اليهود في 1978 وحتى الآن!

فمن جاء مهتما بالمظهر دون جوهر فهو دجَّال ساحر؛ إنما جاء يجذب الناس بعيدا عن الطهارة الحقيقية وعن نبل الغاية إلى ما يريحون به ضمائرهم ويجنون به مديح الناس! بل ما يصنعون لأنفسهم به مكانة زائفة وعزًّةٍ كانوا يفتقدونها بطبائعهم الحقيقية ومعادنهم الأصلية الفاسدة التي غطى عليها حسن المظهر فخالت على الناس!

وفي الشهور التي تلت يناير 2011 خرج علينا أحد شيوخ السلفية الزائفين يُعلن أن كل مسلمي مصر سلفيون! ولفظة «سلفي» أعمق في دلالتها الدارجة على معنى «الأصولية» من لفظة «ملتزم» وكل سلفي ملتزم وإن لم يكن كل ملتزم سلفي؛ كما ينبغي لك أن تلاحظ في أدبيات القوم! ومعلوم أن مسلمي مصر فيهم كل أصناف المسلمين بل فيها من هو مسلم بموجب بيانات بطاقته الشخصية فقط كسائر بلاد الله! فها هو ذلك الشيخ يسطِّح معنى «الالتزام» أكثر ويبتذله ليقول صراحة أنه يعني معنى الإسلام فقط مجردا عن ترقية الإيمان والإحسان! بل يعني مجرد اسم «الإسلام» دون معناه فهو يُدخل الكفار والفساق والعصاة في مسمى الإسلام إذ يساوي بينه وبين الالتزام عمليا! ثم هو يُبقي على قوله ذلك في ظل دولة رئيس انقلابي يؤيده بينما هذا الانقلابي يقول أن (الملحدين لم يخرجوا من الإسلام) وأن (أي حاجة تغضب ربنا احنا معاها وبنأيدها) ويشكك في كل شعيرة من شعائر الإسلام في كل مناسبة يحوز فيها مكبر الصوت أمام الكاميرات؛ ولا حرج على مجنون! أم عليه حرجٌ وقد قال الكُفر إن لم يكن مجنونًا!

وبدلا من إنكار هذه المقولات العجيبة! فقد خرج شيخ سولوفاني آخر يقول عن هذا الرئيس أنه (مؤمن) وآخر يقول أنه (متدين كتديُّن المصريين)! فأي تدين إلا أن يكون متدينا بطبعه لا بدين الله العزيز الحميد! أي ضلال وأي هذيان! بل أي إرجاء! لأنه يرى في قرارة نفسه الالتزام وصفا أعلى من الإسلام لذلك انتهجه نهجا لحياته؛ ثم من أجل متاع الحياة الدنيا ومصالحها والنهب منها وسّع دائرة الالتزام والتديُّن لتشمل كل أصناف الخلق برّهم وفاجرّهم مسلمهم وكافرهم!

وفي الحقيقة فذلك الثبات في الوصف بـ«الالتزام» أو «التديُّن» أو حتى «الاحترام» مهما ساء العمل؛ هو عين منهج المرجئة الذين قالوا أن الإيمان لا ينقص! فالملتزم كما ترى يبقى أخا، ويبقى شيخا، بل يبقى «حبر الأمة» و«محدِّث العصر» و«إمام المسلمين» و«ابن تيمية هذا الزمان»، ويبقى مولاهم وسيدهم؛ مهما فعل ومهما ولغ في قاذورات الخطايا وعبّأ كيسه من عطايا شياطين الإنس والجن! فهؤلاء المظهريون يحكمون على أنفسهم بالإرجاء وهم سواء بسواء مع من يقولون أن إيمان إبليس يساوي إيمان أبي بكر وعُمر! فالقائلين بوصف «الالتزام» يجعلون الرجل مؤمنا كاملا –عمليًّا- مهما عمل من ذنوب ومهما قصَّر في الطاعات.. فهم بذلك يجعلون الإيمان هو تصديق القلب بعيدا عن عمل الجوارح؛ أي يجعلون الإيمان ترفًا عقليًّا بلا مضمون عمليٍّ؛ بل يجعلونه مجرد أداء الجوارح بلا تصديق القلب! فهم مرجئة أقحاح وربما هم جهمية في الحقيقة الواقعة.. وهذا باعتبار ما يمارسونه عمليا في تلك المسألة لا باعتبار ما يصرِّحون

به كمعتقد علنيٍّ لهم! فهم على كل حال أدعياء سلفية، أدعياء تدين، أدعياء احترام؛ كما يظهر بجلاء من مناقضة قولهم لعملهم.. والله ينفي عن أمتنا الزيف والنفاق بإهلاكهم وجعلهم عبرة عما قريب وندعوه سبحانه أن يخلصنا منهم وكلنا فيه رجاء!

التعصب وليد الشكّ!

غالبا ما تكون مظاهر التعصب الشديد غير الضرورية ستارا كثيفا تفرضه النفسُ؛ كخط دفاع أول ضد ظهور الشك الحقيقي الذي يكمن في قرار النفس! الشك في تلك المسألة التي يتعصب لها المتعصب أصلا! وهذه الحقيقة تعرفها أجهزة المخابرات وتظهر في أدبيات كُتّابهم.. ففي إحدى رواياته قال چون لو كاريه -الجاسوس البريطاني السابق وكاتب أدب المخابرات المعروف- على لسان البطل: (the fanatic is always concealing a secret doubt المتعصِّب يُخفي دومًا شكًّا دفينًا).. يعرف الجواسيسُ المخضرمون أن مظاهر الانحياز الفجَّة لرأي ما هي علامة الشك فيه! لذلك يوجهون جهود التجنيد والاختراق دومًا إلى الفئة الأكثر تعصبا وينصبون شباكهم حول الشخص الأشد عصبية! وكثيرًا ما ينجحون! بل إننا نرى حقًّا في خضم الربيع العربي أن الأشد تعصبا ظاهرا مالوا إلى الانحراف بل حاربوا فكرتهم التي كانوا يتعصبون لها! وفي النطاق الصغير ربما وجدت أخاك الأكثر عقوقا لوالدك هو الأشد تعصبا له في مواقف لا تظنه أبدًا سيكون إلى صفِّه فيها؛ بينما أنت تعارض وتوافق بطريقة أكثر عقلانية واتزانا في الحالتين! وفي كتاب الله بيان أن التعصب نابتٌ من الشكّ فقد حكى تعالى عن المشركين أنهم يكفرون علانية ويعلنون للناس أن الإسلام ليس إلا هرطقة! وليس إلا خداعا وسحرا (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا

سِحْرٌ مُّبِينٌ) ويقولون للناس أنهم يكفرون بالإسلام وينكرونه لكنهم في الحقيقة يوقنون تمام اليقن أنه الحق ويشكُّون في دينهم تمام الشك! (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُواًّ) لكنه هذا التعصب لدينهم في حقيقته هو الكِبر الذي يسترون به الشك!

وأنت ترى المتعصب بخيرٍ أمام عينيك، وعلى خير طوال سنوات أو عقود! لكن له حقيقةٌ أخرى لن يلبث أن يُفتضح بها قبل نهاية حياته الدنيا بقليل، أو ربما لا يُفتضح لكن يمضي إلى الله مستورًا فينال حسابه! قال صلى الله عليه وسلم «إنَّ الرجلَ لَيعمَلُ عملَ أهلِ الجنةِ ، فيما يبدو للناسِ ، وهو مِن أهلِ النارِ . وإنَّ الرجلَ لَيَعمَلُ عملَ أهلِ النارِ ، فيما يبدو للناسِ ، وهو مِن أهلِ الجنةِ».. فتأمل: رجلا تعصب للحق «فيما يبدو للناسِ»، ورجلًا تعصب للباطل «فيما يبدو للناسِ»! والأعمال بالخواتيم والحقائق تبدو أو تخفى! وكثيرًا ما تخفى! وبلاشك فإني لا أتحدث هنا ذمًّا للتمسك بالحق ولا إنكارا للثبات عليه! لكنني قدّمت أن التعصب الذي أتحدث عنه هو (مظاهر الانحياز الفجّة غير الضرورية).

تناقض سلوكي (الفسوق والعصيان)..

من السولوفانيين صنفٌ خفيف! فاسقٌ وعاصٍ فقط! وهؤلاء قوم رأو حياة ما يمسى بالملتزمين طيبة في ظاهرها! رائقة راقية جميلة! فطمعوا فيها؛ لكن لم يرغبوا أبدا في الخروج مما هم فيه من وحل! لم يرغبوا في أن يتركوا ما يحبون من «الفساد» من أجل من يزعمون حبه وهو «الله تبارك وتعالى»!

تعصي الإلهَ وأنت تزعم حبَّه .. هذا لعَمْرِي في القياسِ بديعُ

لو كنتَ حقًّا تدعي حبًّا له .. إن المحبَّ لمن يحب مطيعُ

فضَّلوا جمعَ الحلوى على سطح إناء مملوء وحلًا؛ بدلا من التخلي عن أحدهما لصالح الآخر.. أحبوا أن يصنعوا حلوى الفستق بالرَّوث! أو كعكة السمن بالتراب! فهم كمن أحب أن يلبس بدلة الفرح في بركة الضفادع، وأحبَّت أن ترتدي فستان الزفاف وهي تفرز القمامة! لم تكن مشكلتهم هي التحلِّي قبل التخلِّي ولكنها التحلِّي مع الإصرار على عدم التخلِّي يتغافلون عن أنه (مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ)! في الحقيقة مشكلتهم هي التحلّي وهم لا يزالون في الوحل، والوحل يفور في أفواههم وقلوبهم! فتجد الملتحي من هؤلاء يعمل في شركة تقنية أو زراعية أو شركة بترول يمتلكها اليهود وينتفعون بها في دعم إسرائيل وهو يعلم؛ ومن حوله يعلمون، ثم هم يسمونه ملتزمًا بل يسمونه شيخًا

ويتبعونه ويعظِّمونه! وتجد المنتقبة من هؤلاء تعمل في بنك ربويٍّ أو في البوسطة على شبّاك التوفير؛ ولا تزال صديقاتها في دار التحفيظ يسمونها الأخت الملتزمة وربما هي شيخة محفِّظة ذات تلميذات! وتجد الملتحي من هؤلاء يُتاجر في الإيشاربات المزركشة أو يبيع الملابس غير الواسعة الفضفاضة بينما يرى فرضية النقاب والجلباب! ثم هو يأكل ماله حلالا في نظره حراما على الحقيقة ويسمي نفسه ملتزما سلفيا على الجادّة ويسميه بذلك من حولُه! وكثيرا ما تجد بائع الموبايلات وأجهزة الكمبيوتر ملتحيا! رغم أنه يؤمن بحرمة الموسيقى ومشاهدة الأفلام؛ بينما هذه الأجهزة التي يبيعها لم يعُد أحد يستخدمها إلا في استماع الموسيقى ومشاهدة الأفلام والشات مع الأجانب والأجنبيات –أعني غير المحارم– الذين يرى هو أنه لا يحل التواصل معهم من رجال ونساء على سواء.. أو الملتحي والمنتقبة المتساهلين في التعامل مع الجنس الآخر رغم اللحية والنقاب! أو الذين تجدهم في زفاف يملؤه الرقص والمخدرات! كل هذا وغيره كثير من التناقضات لدى الذي يسمِّى نفسه ملتزمًا فهو يخالف ما يدين لله به وما يعلن أنه حرام بلا شك ويبرأ ظاهرا مما يفعله! ثم هو يبيع أدواته ويعاشر مرتكبه حال ارتكابه ثم لايزال يعتبر نفسه ملتزما أصوليا!.. نسي أو تناسى أن الله إذا حرّم شيئًا حرّم ثمنه! وأنه لا يغنيه مجرد الإقرار بالحرمة إذا كان معينا مشاركا في تنفيذها أوحاضرًا لها بغير إنكار!

وأنا هنا أحاكم هؤلاء لتناقض أنفسهم ولا أسرد رأيي فيما يقرُّون به من أحكام! فلو كنتَ معهم فيه أو ضدّهم أخي القارئ وأختي القارئة فأنا أوضح هنا تناقضهم في أنفسهم وأكلهم مما يعرفون حرمته ولا ألزمك برأيهم ولا رأيي..

و ربما نجد صاحب هذا التناقض لا يزال يتمتع ببعض الشرف؛ فهو تناقض شخصي على كل حال وليس تناقضا في المواقف العامة والمصيرية ولا مواقف الأمة وقضاياها! هو تناقض في العمل والسلوك وليس تناقضا في الاعتقاد.. فهو لم يرتم في حضن الشيطان بعد، او ارتمى في حضنه لكن لم يحبل منه بعد! ولكني أحذِّر هؤلاء ما حذّر منه اللهُ تعالى كلَّ من هو يحوم حول الحِمى يوشك أن يقع فيه! (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهَّ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ شَدِيدُ العِقَابِ)..

وهناك صنفٌ آخر من السولوفانيين صار له من الشيطان دستة من الأبناء وربما أنجب له قبيلة بأسرها وهو كل يوم يبيض له ويفرخ!

تجميل الفِسق!

ومن أكثر الخدع التي مارسها المتشبعون بما لم يُعطَوْا أدعياء التدين المتسمين باسم الملتزمين هي العبث بمفهوم «الفِسق»! واستخدام وصف الملتزم للتغطية على وصف الفسق الواجب شرعا المترتب على ممارسة سلوكيات وأفعال الفاسقين! صار وصف «الملتزم» هو السولوفانة التي تغلف قطعة المخلل الحامضة لتظهرها في صورة قطعة الحلوى الجميلة! فمثلًا: تجد آكلَ اللحم المجمَّد مجهول المصدر وبائعَه ملتحيَيْن بينما قال الله عن اللحم المذبوح لغيره من الآلهة التي يعبدها الناس (أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ) فسماه اللهُ فسقًا ومن أدمن شيئا تسمى باسمه فهو فاسق! ثم لايزال يبيع اللحم المجمد المجهول الفاسد في دكانه جوار المسجد ثم إذا أذن المؤذن قام فأم الناس بالصلاة وتسمى باسم «شيخ المسجد» «الأخ الملتزم»! ومثله بائع العطور للنساء المتبرجات المتعطرات في الطرقات! وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطار المرأة وهي خارجة من بيتها زنا وقال (إن الله إذا حرم شيئا حرم ثمنه) فكيف يكون بائعه إلا قوّادًا على الحقيقة؟! ومثله المتعامل بالربا في البنك أو البوستة فتجده موظفا على شبّاك التوفير أو عميلا جاء يشتري بالتقسيط البنكي الذي يطوف على الناس يعلمهم أنه ربا! ومثلا تجد المرأة المنتقبة تصاحب المرأة المتهتكة وتصاحب المرأة عابدة الطواغيت؛ تبذل لهنَّ مهجتها دون سبب النصح ولا الدعوة للدين لكن

صداقة الدنيا ومصالحها! وصاحب الفاسق فاسقٌ مثله وهي رغم ذلك تتسمى باسم الأخت الملتزمة والشيخة وتفتي وتتأمّر! ومثلها ذات الريبة التي تعامل الرجال بلا حساب! ومثلها التي لا تراعي حركات جسدها ولا تتقي ربها إذا جلست في المواصلات أن تلاصق أجساد الرجال! كلها نماذج تمارس الفسق الذي سماه الشرع فسقا وتستره عن الناس ولا تتقي الله! كلهم ذو الوجهين! ومنهم من يجاهر به أمام بعض معارفه وخواصِه أو لا يهمه فيجاهر به علانية أمام من لا يعرف! لكن هذه النماذج المتناقضة المنحرفة المريضة تصر على وصف «الالتزام» ويمنحها الناس أوصاف المشيخة فوق الالتزام! وصف الالتزام الذي يحمل معنى مبطنا في أذهان الناس أنه «الإيمان» بينما هو في حقيقته لا يعدو كونه جذور «الإسلام»! هذا إذا كانت تُحسن أو يُحسن الصلاة والصوم وتفهم أو يفهم معنى الشهادتين من باب أولى! وصف «الالتزام» الذي صار لا يعني إلا قناعا يرتديه بعض من كان فاسقًا أو فاجرًا ولا يزال! ليحسِّن صورته ويجد له موضع قدم بين الناس؛ بل ليعلو عليهم رغم سفالته في الحقيقة!

تناقض عقدي (النفاق)..

وهناك تحت ذلك دركاتٌ من السولوفانية؛ وهم السولوفانيون ذوو العيار الثقيل! لأنه فوق كل تلك السلوكيات سالفة الذكر التي نختلف فيها أو نتفق عليها؛ تجد الشيخ السلفي مدرس العقيدة صاحب المؤلفات عن الكفر بالطاغوت ووجوب الحكم بما أنزل الله يخرج في الإعلام ليصرِّح بأنه (يحترم أحكام القضاء)؛ ذلك القضاء الذي يرى بأنه قضاء وضعي كافر! ويقف جنبا إلى جنب مع حاكم عسكري طالما كان قد حرَّم مجرد الانضمام إلى جيشه طوال عقود لأنها رايةٌ عُمِّيَّةٌ من مات تحتها فقد مات ميتة جاهلية! وتجده يضع يده في يد الأقباط الأرثوذوكس الذين وقف ضدهم وأشعل الدنيا عليهم قبل سنوات لاستخلاص المسلمات الجُدد من سجونهم التي طالما صرخ بأنها تملأ الأديرة والكنائس! يقف إلى جوارهم في حربهم للمسلمين وهو يتشدد في مجرد وصفهم بالـ(مسيحيين) ويأبى إلا أن يصفهم بالـ(نصارى)! رغم أن وصف النصارى جاء في القرآن أصلا لمن يؤمنون بخاتم رُسُل الله محمد من بعد إيمانهم بالمسيح عليهما الصلاة والسلام بينما هؤلاء لا يؤمنون به (وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) فلا يصح في حق الذين يسبون الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم ليل نهار في كنائسهم ويصيغون المسرحيات التي تسخر منه ومن شريعته!

يتشدد السولوفاني معهم في الوصف والكلام الذي لا يسمن ولا يغني من جوع؛ بينما يوافقهم في مواقفهم المدمِّرة للأمة والوطن والمجتمع ويتبعهم فيها حذو القذة بالقذة! وتجده يسعى حثيثا إلى سفارات أمريكا وأوربا عارضا نفسه كبديل قوي قادر على إكساب العالمانية صورة إسلامية وإقناعها بإعفاء لحيتها مخادعة لجماهير المسلمين! فيعرض نفسه على الغرب بديلا سياسيا عن زملائه في التيار الإسلامي الذين يقطع الغرب من لحمهم ويشرب من دمائهم! أو حتى تجده ضابطا في شرطة تحكم بغير ما أنزل الله وتقتل وتعتقل لوجه الطاغوت لا لوجه الله؛ ثم هو يسكت عن كل ذلك مشعلا حربَه ونضالَه كي يحصل على حرية إعفاء اللحية! ليكون مثال «الالتزام المظهري» الفارغ من مضمون الإيمان! فأي التزام هذا وأي تديُّن! لقد صار وصف «ملتزم» هو السولوفانة التي تغلف قطعة الغائط القذرة لتصورها في هيئة قطعة الحلوى الشهية الراقية!

وفي هؤلاء المتناقضين وأصل منبتهم أنهم دخلاء مزروعون قال المؤرّخ محمود شاكر –رحمه اللهُ-: «الاختراق: يجرّ الأعداء إليهم بعض عناصر طلّاب الدنيا بإحدى وسائلهم التي هي كما ذكرنا: المكانة، المال، النساء، فإذا ما صار رهن إشارتهم كلّفوه بمهمة إظهار الإسلام، والالتزام بأعماله الظاهرية، ثم الانضمام إلى بعض الجماعات الإسلامية التي يحدِّدونها له، فإذا ما انضمّ، وأبدى النشاط، وأبرز نفسه، وعُرف في المجتمع أخذ يلعب الدور الذي كُلِّف به باسم

المكانة التي وصل إليها، والدور هو الإساءة للاتجاه الإسلامي، ويتمثّل في أحد الألعاب الثلاثة، وهي:

1. التفرقة بين التجمعات الإسلامية بالكلام، والإساءة، والهجوم على الجماعات الإسلامية الثانية أي غير الجماعة التي انضم إليها، وذلك لإحداث الخلاف، وإيقاع الفرقة و الشقاق.

2. المخالفة لمبدأ الدعوة بالتصرفات السيئة والمخالفة للشرع، وذلك ليسهل الكلام والحديث عن الجماعات الإسلامية، وما تمثّله، وما تدعو وما تعمل له.

3. العمل على جر الجماعة التي انضم إليها لمسايرة الإعداء، أو التأييد في سبيل الوصول إلى بعض المنافع، وذلك بمكرٍ، وخداعٍ، وسرِّية تامة، وذلك لإلصاق أبشع التهم في رجال الدعوة ومنها: الخيانة، والعمالة للأعداء» [السُّعاة في الحياة، ص23،24]. وسيأتي مزيد تفصيل عن هؤلاء عند كلامي عن (العصافير).

الأيام تشهد..

ولطالما خرج علينا شيوخ السلفية بشرائط وكتيبات تتحدث عن «الالتزام الأجوف»! يتحدثون فيها عن الملتحي الذي لا يصلي بالليل أولا يصوم الاثنين والخميس أو لا يديم الابتسام إلى الناس! والمنتقبة التي تُبدي كفَّيها أو تضع الكحل في عينيها! يرون أن التقصير في السنن أو الوقوع في بعض الذنوب هو الذي يجعل التزام الملتزم بلا معنى! لكن رغم أهمية تلك الأشياء بالطبع كسلوكيات وشعائر إلا أن هذه المواد ابتداء صارت أدلة في أيدينا الآن على كون هؤلاء الشيوخ يقرُّون كما أقرِّر هنا أن معنى «الالتزام» الذي ابتدعوه أصلا هو مجرد المحافظة على «الهدي الظاهر»: من زيٍّ إسلامي، وممارسات شعائرية: كصلاة الجماعة في المسجد وتلاوة ورد القرآن اليومي وقراءة الأذكار وحضور تروايح رمضان واستدامة حفظ القرآن ومراجعته وصيام الثلاثة أيام البيض والاثنين والخميس؛ بصرف النظر عن أي مخالفة فظيعة في أبواب أوجب من ذلك –ربما مسّت أركان الإسلام والإيمان– قد تنقض البنيان كله! فقد سمعتُ الذي أصدر كتابا عن الالتزام الأجوف! سمعته يخاطب طلابه بأنه لا يجوز الخروج على (كل) مَنْ آتاه اللهُ الـمُلك! أيا كان مؤمنا أو كافرا عادلا أو ظالما! وهذه في الحقيقة عقيدة القدرية الجبرية! الذين يرون أن الإنسان لا إرادة له في هذه الحياة ومجرياتها! بينما اللهُ تعالى قد حمّل الإنسان الأمانة ولسوف يحاسبه

عليها؛ فيجب على المسلم جعل الحكم فيمن يستحق! وتوسيد الحكم لغير أهله من علامات الساعة! إذن فالملتحي الصالح في نظر هذا الشيخ القدريِّ المرجئ هو الذي يركبه الكفار والفساق كيف شاؤوا تماما كالحمار، أو يلبسونه في أرجلهم نعلا! وهذا عند الشيخ هو مفهوم الالتزام الحقيقي.. يبدو أنه كان يعني الالتزام بتعليمات الأمن أو أوامر النظام الحاكم! وكذلك رأيتُ آخر أصدر شريطا عن الالتزام الأجوف وقد انتشر عنه أنه متزوج من أربعة وهذا حلال لا شيء فيه ولا معابة! لكنه كان يبدّل الرابعة باستمرار؛ فلا تمكث امرأة في منصب الزوجة الرابعة أكثر من بضعة أشهر! في الحقيقة يتزوجهنّ زواج متعة يضمر في نفسه أنه ليس على التأبيد! فهل معنى الالتزام الحقيقي هو الولوغ في أعراض النساء بهذا الشكل عنيف الحيوانية؟! اللهم لا!

أمُّ الكوارث!

«السولوفانية» هي جامعة التصنُّع والادعاء والتزييف والمظهرية القشرية في تقييم الأمور: من أول الكذب، مرورًا بتعدد الوجوه والتشبُّع بما لم يُعط المرء، وصولًا إلى النفاق العقدي. ومن السولوفانية اتخاذ الصُّور والمظاهر والشعارات حَكَمًا على النفس والناس وسبيلًا لتقييم الأشخاص والسماع لهم ومنهم بدلًا من اتخاذ الأفعال والسلوك حاكمًا أمينًا صادقًا عليهم.

والسولوفانية بلا شكٍّ هي جذر من جذور الكوارث، بل هي جذرٌ لأكبر الكوارث التي مرَّت في تاريخ البشرية على الأرض! بل قبل أن تنزل البشرية على الأرض!

السولوفانية في تقييم النَّفس:

لولا السولوفانية ما كفر إبليس! لقد نظر إلى نفسه بالسولوفانية وصدَّق نفسه! إذ تصور النار لبريقها وجمال شكلها وقوتها أفضل من الطين: فاستكبر أن يسجد لآدم عليه السلام! تصوَّر ذاته أفضل فتكبَّر! كان فساد تصوره عن نفسه مفتاح الكبر، والكبر مفتاح بوابة الكفر الفسيح! ولو قيَّم إبليسُ الأشياءَ بحقيقتها ما كفر.. إذ أن الله قد أَمَرَ بتفضيل آدم فهذه هي الحقيقة المجردة..

الحقيقة أن أمرُ الله هو مدار التفضيل.. فليس ثمَّة مجال لطريقة أخرى في التفضيل غير أمر الله به.

وقوم نوح عليه السلام أيضًا على نهج إبليس في تقييم أنفسهم وغيرهم.. رأوا أنفسَهم أجلَّ وأعظم من أن يبعث الله إليهم بشرًا رسولًا يُنذرهم! واستكبروا أن يسبقهم في الإيمان الضعفاءُ والفقراءُ وقالوها صريحة قبيحة فاجرة (مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ) ولهذا كفروا! رأَوْا أنفسَهم الأفضلَ لأن في أيديهم الدنيا، يملكونها ويحكمونها، ويذهبون فيها حيث شاءوا وأرادوا! ورأَوْا الإيمانَ أنه لو كان حقا لكانوا هم أولى به! ورأوا أنفسهم جديرين أن ينزِّل اللهُ الملائكةَ خاصةً عليهم.. لماذا؟ لأنهم الكبراء والسادة! حسبوا أن سولوفانهم البرَّاق الذي يتباهون به على الناس له قيمة عند الله.. ولا والله ليس كذلك! فأغرقهم الله في الماء! الذي هو أصلُهم لا يزيدون عليهِ شيئًا إلا التراب! فلإنسان من طين والطين من ماء وتراب.. وأورث اللهُ نوحًا والبسطاءَ الذين آمنوا به تلكَ الأرض كلها فـ (قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) وأهلك اللهُ السولوفانيين.. بل ذابت سولوفاناتهم في الماء! ولا أستبعد أن كل هذا الوقود الأحفوري في باطن الأرض إنما هو ناتج عن هؤلاء! فأصل الوقود الأحفوري مواد عضوية طُمرت ثم صنعها الضغطُ عبر الأحقاب فحمًا أو بترولا وغازا! فانظر إلى موقدك وسيارتك

ومشواة اللحم لتعرف إلى أي شيء صار سولوفان قوم نوح: صاروا وقودًا لنار الدنيا ثم هم وقود نار الآخرة كذلك (وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى).

ولولا أن عادًا قوم هودٍ عليه السلام قيَّموا الأمور بمظاهرها، ونظروا إلى أجسادهم العظيمة ومنجزاتهم الهائلة فأعجبتهم (فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً) وظنُّوا أن القوة دليلٌ على الهُدى وزعموا أنها سبب تفضيل! ورأوا أن قوَّتَهم تمنعهم من الله! لولا هذه السولوفانية في تقييم حالهم ما استكبروا وكفروا! ولما آل حالهم إلى أن يُصبحوا ذكرى يكذِّب بوجودها أشباهُهم من أهل العنجهية والمظهرية الكاذبة اليوم! وإن وجدها بعضهم في صور الأقمار الصناعية مطمورة تحت أطنان التراب وفي غياهب النسيان!

وهؤلاء ثمودُ قومُ صالحٍ عليه السلام.. كانوا يفهمون ما يقول لهم نبيهم عليه السلام ويعُونَه وحين طلبوا الناقة آيةً: أرسلها الله لهم، فاستبصروا أمرَهم، وعرفوا أنه الحق.. لكن غرَّتهم مظاهرُ المادَّةِ الفجَّة، وانحرفت بهم عنجهيةُ القوَّةِ! فمَن في نظرهم يغلب الذين (جَابُوا الصَّخْرَ بِالوَاد)! ومن هنا دخلت السولوفانية (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ) فبدلا من إجابة شرط الناقة بشرط الإيمان عقرُوها! (فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ). وها هي مبانيهم في البتراء شاهدة إلى يومنا تقول لنا عاقبة المكذبين.. بقي الحجر وهلك المتكبرون ذوي قلوب الحجارة!

وهذا الملك النمروذ نظر إلى السيفِ في يده وإلى الجند من حوله فظن نفسه إلهًا! أو هكذا أراد للناس أن يظنُّوا! فقتل رجلًا وترك آخر فقال (أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ)! فلما حاكمه إبراهيمُ عليه السلام إلى ما لا يستطيع محاكاةَ عنوانِه وارتداءَ زيِّه! حاكَمَهُ إلى الشمس: أن يأتي بها من المغرب.. حينها سَقَطَتْ عنه ورقة السولوفان الأخيرة التي كان يرتديها مدعيًّا لنفسه الإلهية (فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)!

والآخر فرعون! استدل على ألوهيته بأنه يحكم بلدًا من الطين يخترقها الماء! فقال (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي) وافتخر بلكنةٍ يتكلم بها الفرعونية! فَضَّل بذلك نفسَه في البلاغة على النبيِّ المهاجر الذي هو من ذرية الأنبياء يعقوب وإسحق وإبراهيم فقال (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ)! يستدلُّ بأشياءٍ من ميزان الدنيا على أمورٍ لا توزن إلا بميزان الآخرة، ويدعي لنفسه ما لا يحق لبشر لمجرد قشورٍ من الحياة مَلَكَهَا في يديه بمعونة هامان! لكن العيب ليس عليه وحده! بل على شعب سولوفانيٍّ صدَّق هذا الهراء.. هراء الإلهية بموجب حكم رقعة الطين والماء البائسة تلك! (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ) وما استحقُّوا حكم الفسق إلا بعشقهم للسولوفانية البرَّاقة وكراهيتم للحق الواضح؛ وإن جاء به هذا النبيُّ الكريم ذو العزم.. يكرهون الحق لمجرد أنه جاء من أجنبي! وإن كان نبيا من سلالة أنبياء!

وهؤلاء السولوفانيون الذين لم يكفهم كلامُ عيسى عليه السلام في المهد، ولا شفاؤه المرضى وإحياؤه الموتى ونفخه الروح في الطين بإذن الله.. فقاموا يعبدون الملكَ ويئلِّبُونه على النبيِّ ليقتله وتخلو لهم قيادة الناس بالدين من دون النبي المرسل! ولما رأوا شبيهه على الصليب قتيلًا تباكوا وقالوا أنه هو ثم عبدوه (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا المَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِّ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ) فلا أدري: العجب من انعدام سولوفانيتهم في الكفر به نبيا رغم كثرة مظاهره! أم العجب أكثر من تطرف سولفانيتهم في الإيمان بالمصلوب إلهًا رغم ضعفه بل مقتله أمامهم! وإن كان لا عجب! فالسولوفاني يستخدم المظهرية والمزاعم حيث تكون مصلحته الشخصية، مهما كان الأمر غريبًا في نظر من لا يفهم أغراضه ودوافعه! فرأوا من مصلحتهم إنكار مظاهر الإعجاز كما رأوا من مصلحتهم تقديس مظاهر العجز! وهكذا كفروا مرتين!

وهذا محمد صلى الله عليه وسلم حين جاء بالدين رطبًا نديًّا جحد صناديدُ قريشٍ الإيمانَ لأنهم عظماءُ لا ينبغي أن ينزل الدين إلَّا على كبرائهم دون هذا اليتيم الفقير الكريم! (وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا القُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) وقالوا (لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللهُّ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ) يريدون الله أن يكلمهم بلا واسطة ملكٍ ولا نبيٍّ! ماذا ظنوا أنفسهم انتفاخا وغرورًا حتى يقولوا ذلك؟! ماذا حسبوا أنفسهم؟!. فيا ويل سولوفانيتهم في تقييم الأمور قادتهم إلى جحيم الأبد! (أَهُمْ

يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِياً وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ).

السولوفانية في تقييم الآخر:

ولولا أن آدم وحواء عليهما السلام صدَّقا كلام «إبليس» المعسول ووسوسته الآسرة ما أكلا من الشجرة! وقد ادَّعى أنه ينصحهما بالخلود والبقاء وأقسم لهما (وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ) فلم يظنا أن أحدًا يقسم بالله كذبًا! فصَّدقاه، فنزلا من جنة النعيم إلى أرض الشقاء!

لولا السولوفانية ما انخدع المسلمون بسكون «أبي لؤلؤة المجوسي» حتى تمكَّن من طعن «عُمر» رضي الله عنه وكَسَرَ الباب الذي كان بين أمة الإسلام والفتنة: فانداحت الفتنة وسالت الدماء أنهارا إلى يومنا هذا!

لولا السولوفانية ما انخدع المسلمون في «ابن سبأ» وقد ادَّعى الصلاح والعلم في الأمصار التي قلَّ فيها الصحابةُ ولم ينتشر فيها العلم: فألَّبهم على «عثمان» رضي الله عنه حتى قتلوه في المدينة على مصحفه..

ولولا السولوفانية ما ظن أحدٌ أن الخوارج على حق، وقد كانت كثرة عبادتهم وتلاوتهم القرآن وصلاتهم بالليل تجذب الناس! لولاها لما شق الخارجي «بن مُلْجِم» رأس «علي» رضي الله عنه!

ولولا السولوفانية ما انتشرت أفكار المعتزلة بين المسلمين! وقد كان زعيمهم «واصل ابن عطاء» يأمر دعاته أن يقيموا في المساجد ويُظهِرُوا السنة ويفتون الناس بها، حتى إذا وثق فيهم الناس أظهروا أنهم غيَّروا رأيهم إلى رأي المعتزلة وأنه الحق! فيُدخلون الباطلَ في قلوب الناس بهذه الطريقة!

لولا السولوفانية ما قدَّس الناس بشرًا فعبدوه وصنعوا له قبة مقدسة صوفية يحجون لها من دون بيت الله ويدعون صاحبها الغائب وخلفيته الحاضر من دون الله! وباسمه يذبحون وله ينذرون.

لولا السولوفانية ما وثق «المستعصم العباسي» في وزيره الرافضي «بن العلقمي»: فأضعف الجيش، وراسل التتار، ونهى الناس عن قتالهم، ثم فتح بغداد ودار الخلافة لـ«هولاكو» فاستباحها وقتل الخليفة وحاشيته وذبح الناس وأغرق تراث المسلمين من الكُتُبِ في نهرها!

ثم لولا أن السولوفانية انتقلت من إبليس إلى الكفار، ثم إلى أهل البِدَع والانحراف، ثم أُشْربت في قلوب جماهير المسلمين عبر القرون: لم يكن «عمر مكرم» ليأتي بـ«محمد علي» ذلك الجندي من جيش الغصب والدمار: فيظن فيه الصلاح والإيمان، ويضعه بيديه وأيدي الأشراف معه على عرش مصر سنة 1805.. فيدمرها «محمد» الاسم فرنسيسي الهوى! ثم يجعلها منطلقًا لتحطيم الإسلام في الجزيرة العربية حين غزا الدرعية سنة 1818، ويخنقها بل ويخنق

«خليل بن عبد الرحمن الجبرتي» المعارض لحكمه يخنقه رجالُه في حارة مظلمة من حاراتها سنة 1821 ليُسكت لسان والده عن نقده، ثم يقاتل دولة الخلافة حتى تمركزت قواته في «قونية» استعداد للوثوب على الأستانة سنة 1832، ثم يجثم على النيل هو وأولاده: يحفرون قناة السويس (1859-1869) لتمرير أساطيل الاستعمار في بقاع الأرض، ثم يمولون الاحتلال البريطاني بالجنيهات والسبائك الذهبية التي دُفعت لـ «الشريف حسين» الذي دمَّر الخط العثماني الحديدي في جزيرة العرب ومزق أعضاء الأمة من جسدها بزعم الثورة العربية سنة 1916، ويمولونه بالقوة البشرية «التجريدة المصرية» اللازمة لاحتلال القدس حيث شاركت البريطانيين في هزيمة العثمانيين بـ«معركة مجدُّو» سنة 1918 ، ثم يسلمون فلسطين كلها لقمة سائغة لليهود في 1948، ويفعلون ويفعلون!

ولولا السولوفانية لم يدخل عبد الناصر جماعة الإخوان فيخدعهم منذ 1944 ليذبحهم في 1954 ذبحًا لم يكن الملك الذي أعانوا عبد الناصر على خلعه ليفعله أبدًا! ويدفن الأسلحة في عزبة «حسن العشماوي» يوم حريق القاهرة في 1952 ليستخرجها ويحاكمه بتهمتها في 1954 ويزج بأبيه الباشا المسن صاحب العزبة في السجن الحربي! كأنه العشماوي الذي جناها وأجرمها وليس عبد الناصر نفسه! ويأذن للإخوان بلقاء «إيفانز» والتفاوض معه حول الجلاء في السفارة البريطانية سنة 1953 ليحاكمهم بتهمة التخابر أيضًا في 1954! ثم يحكم عبد الناصر البلاد فيستعبد أهلها باسم التحرُّر ويخرب ثرواتها باسم

الاشتراكية ويدمر جيشها باسم المعركة مع اليهود ويفتت أرضها فيفقدها «غزة» و«أم الرشراش» في 1967 ومن قبلهم «السودان» 1956، ويسلمها لمن بعده خرابا: فيحكمها مرتزقة العسكر مرتزقًا تلو مرتزق، ومجرم حرب تلو مجرم حرب؛ واضعين البيادة في أفواه أهلها وعلى رؤوسهم ورقابهم حتى لحظة كتابة هذه السطور! بينما كان دعم الإخوان له في انقلاب يوليو 1952 أصلا وفق اتفاق على (الشورى، والحياة النيابية، واستبعاد العسكر وتسليم الحكم للمدنيين) لكنه تحوَّل إلى أن يقول للإخوان في آخر لقاء تفاوضي صافٍ بينهم في 29 ديسمبر 1952 (أنا استقر في نفسي فكرة استولت عليّ: أنني أستطيع خلال فترة وجيزة لا تتجاوز سنتين.. أن أكون في وضع أملك ناصية الأمور، بحيث لو أتّكّ على زِرّ البلد تقف، ولو أتّكّ على زِرّ البلد تقعد)! [كما قال «فريد عبد الخالق» في الحلقة 10 من شهادته على العصر].

ولولا السولوفانية ما أنعم الإعلامُ على السادات بلقب «الرئيس المؤمن» وهو الذي كان عضو اليمين في ما سمي بـ«محكمة الشعب» التي أنشئت في نوفمبر 1954 وكان عضو الشمال حسين الشافعي ورئيسها جمال سالم والتي حكمت بالإعدام على «محمود عبد اللطيف»، «يوسف طلعت»، «إبراهيم الطيب»، «هنداوي دوير»، «محمد فرغلي»، «عبد القادر عودة»، و«حسن الهضيبي». وتم إعدام الستة والعفو عن الهضيبي. وكان أيضًا مجرم حرب كبير حين قاد أحداث إبادة الثوار المسلمين في جزيرة «أبًّا» بالسودان إبان ثورة «الهادي

المهدي» على الحكم الشيوعي في مارس 1970! ثم عيَّن ذراعه الأيمن في تلك المجزرة قائد الطائرات التي قصفت الجزيرة وأبادت من فيها وشريكه أيضًا في اغتيال «الهادي المهدي» عينه نائبًا له بعد ذلك وهو «حسني مبارك»! ثم كيف لمؤمن بعد ذلك أن يكون أول متصالح مع إسرائيل ومعترف بها بموجب اتفاقية العار«كامب ديفيد» سنة 1978؟!. ولم يكن يسبقه إلى ذلك إلَّا الخبيث «بورقيبة» في خطبته الشهيرة بمخيم «أريحا» سنة 1965؟!.

وقضية محاولة اغتيال عبد الناصر في المنشية ذاتها كانت عملية سولوفانية كبيرة! لأن من تولَّى كبر إقناع الإخوان بها هو «هنداوي دوير» وكان يمشي بين الإخوان يجعجع بوجوب اغتيال عبد الناصر حتى جمع حوله من يريدون ذلك! لكن عبد الناصر اخترقهم وأدارهم جميعا بنصيحة من «كيرميت روزفلت» رجل المخابرات الأمريكية في السفارة بالقاهرة ونائب مدير الـ CIA لشؤون الشرق الأوسط –وكان هو أيضًا الذي نسق معه الرضا الأمريكي عن انقلاب 1952 وضمان عدم تحرك القوات البريطانية ضد الضباط الأحرار– وحوَّل عبد الناصر محاولة الاغتيال إلى مسرحية قبض بموجبها على الإخوان –من التف منهم حول دوير ومن أنكر عليه ما يريد– وأعدمهم وخرج في أعين الناس بطلًا شعبيا ومعه ذريعة العسف والنسف، وكان قد وعد دوير أنه سيكون شاهد ملك ويخرج من السجن بالبراءة! إلا أنه أعدمه ليدفن السر معه.. لكن الله لا يُصلح عمل المفسدين.. فكتب «كوبلاند» التفاصيل في «لعبة الأمم» وشهد من حول دوير

بأنه حين سيق إلى المشنقة قال (كنت أنتظر العفو عني من جمال! كنت سأعامَل معاملة شاهد ملك)! بينما من أصابتهم الخديعة السولوفانية كانت مواقفهم: محمود عبد اللطيف قال (أشكر الله الذي منحني الشهادة التي هي أمنية الإخوان)، وقال يوسف طلعت (اللهم اغفر لي ولجميع كل من أساؤوا إليّ)، وكان إبراهيم الطيب يمشي وحده وعلى شفتيه ابتسامة احتقار وقال (أشكر الله أني سأموت شهيدا.. إنهم أعداؤنا الذين كانوا قضاتنا)، وقال محمد فرغلي (أنا سعيد بلقاء الله) –محمد فرغلي قائد المقاومة ضد الانجليز في القناة الذي كان سببا مباشرًا في الجلاء وليست المفاوضات، وكانت بريطانيا رصدت 10000 جنيه لمن يأتيهم برأسه فقدمها لهم عبد الناصر مجّانًا–، وبدا عبد القادر عودة ضاحكا (شكرا لله) ثم رفع رأسه وقال (إن دمي سيكون لعنة على هذا النظام) ومشى إلى المشنقة متقدما جلاديه. عودة الذي أنقذ رقاب مجلس قيادة الثورة من القطع على أيدي المتظاهرين في عابدين يوم 28 فبراير 1954 فكان جزاؤه الشنق! ولو شنقهم هو لكان لمصر شأن آخر وللأمة كلها معها.. لكن يبدو أن الدرس الأكبر في حكاية الإخوان وعبد الناصر هو أن يكف المسلمون عن سولوفانيتهم حتى يتصوروا الحياة والحكم على حقيقته فيقدموا عليهما عازمين ببأس من حديد ويعلموا أن المظاهر ودموع التماسيح في صلاة الظهر لا تغني من الحق والقوة شيئًا!

ولولا السولوفانية لم يكن «نجيب جويفل» رجل مخابرات عبد الناصر ليبرز في جماعة الإخوان ويغرس الفِتَن في قلبها وبين رجالها ويبلبل صفوفها في ربوع العالم خاصة سوريا والكويت والأردن منذ 1954 وحتى سنة 1970! كل ذلك بدعوى أنه من الجماعة وأحد كبار رجالها! ثم اكتُشف أنه ضابط كبير في المخابرات المصرية! [كما قال عصام العطار في الحلقة 3 من مراجعات].

ولولا السولوفانية لم يكن سيد قطب ليقضي على المشنقة في 1966 بعد أن خرج «علي عشماوي» وهو أحد المقربين منه ليشهد عليه في محكمة «الدجوي» بما لم يفعل ولم يحاول ويرى الشهودُ الخائنَ يرتدي الحرير في قلب السجن الحربي ثم يُفرج عنه ليهاجر إلى أمريكا! بعد أن أتم مهتمه في الإيقاع بسيد ومن معه!

ولولا السولوفانية ما علا نجم «مبارك» في أول حكمه بدعوى أنه من أطلق سراح الإسلاميين بعد أن اعتقلهم السادات في أواخر أيامه ضمن من اعتقلهم؛ وهو من أمر بتصفية «كمال السنانيري» في زنزانته وغلف مقتله بغلاف الانتحار وكان ذلك في أول شهر من عهده نوفمبر 1981 وقد كان تولى الحكم رسميا في أكتوبر من العام نفسه! تمامًا في وسط ما كان يثني الناس عليه بأنه من أخرج الإسلاميين من السجون! فهو قبل ذلك مجرم الحرب الذي قصف «اليمن» بالنابالم، وقصف «جزيرة أبّا» كما تقدم، وهو من أخرج مروحياته مساء يوم 6 أكتوبر بلا غطاء جوي يحميها فتم تدميرها عن بكرة أبيها وقُتل من عليها من

جنود الصاعقة، فعل تلك الكارثة ثم تشدق 30 سنة بأنه صاحب أول ضربة جوية فتحت باب الحرية! وهو الذي تدثر بورقة سولوفان تحرير طابا بينما هو الذي أدخل الإسرائيليين على «سليمان خاطر» في زنزانته التي وضعه فيها ليقتلوه! قتلوه حراسةً لحدود إسرائيل وصيانة لحقها في انتهاك سيناء بل مصر كلها وسائر بلاد المسلمين.

ولولا السولوفانية ما استطاع ضابط برتبة نقيب في المخابرات السورية أن يتخفى في اسم ورسم «أبو عبد الله الجسري» سنة 1982 ويصعد داخل هيكل «الطليعة المقاتلة» في سوريا التي كانت تسعى لتحرير سوريا من نظام الأسد في بدايته، ثم يسلمهم جميعًا في كمائن محكمة واحدًا بعد واحد للقتل والاعتقال وأولهم قائدهم «عدنان عقلة» –وكانوا 70 رجلًا–؛ حتى استتب الحكم لـ«حافظ الأسد» بعد القضاء على كل المقاتلين المسلمين بهذه الخديعة المحكمة. [كما قال عبد المنعم مصطفى حليمة في الحلقة 3 من مراجعات].

ولوا السولوفانية ما استطاع «عبد الله بن عبد العزيز» مشتركا مع مبارك أن يدخلوا القوات الأمريكية علانية إلى جزيرة العرب ويؤسسوا لها قواعدها بدعوى الإعانة في حرب صدام والدفاع عن أرض الحرمين إبان حرب الكويت!

ولولا السولوفانية ما استطاع «عبد الفتاح السيسي» أن ينقلب على الإسلام وأهله في مصر سنة 2013! فهو مدير المخابرات الحربية التي كانت وظيفتها

الأولى طوال عهد مبارك ضمان خلو الجيش من الإسلاميين وتصعيد ذوي الهوى الصهيوني فيه وضمان أمن إسرائيل واختراق وإدارة الجماعات الإسلامية! ورغم ذلك قال عنه الرئيس مرسي (لدينا رجال مثل الذهب) ألم تكن هذه الكلمة ينقصها كلمة (الصيني) فمثل هذا الرجل لا يكون ذهبا إلا أن يكون ذهبا زائفًا تراه له بريق بينما هو معدن صدئ سام قاتل! وأطلق عليه إعلام الإخوان أنه (وزير دفاع بنكهة الثورة) فلم يلبث أن نكح الثورة! نكاح سفاح فأولد منها انقلابا عسكريا على الثورة بل ثورة مضادة تم فيها تصفية الكوادر وحرق الأرض تحت أقدام المسلمين وإعادة تسليم البلاد لكل جاهلي مهما كانت ملّته وغرضه! وقال عنه أحد مشاهير شيوخ السلفية أنه (رجل مؤمن) وأطلق بعضهم عليه صفات الأولياء فقالوا (يبكي في صلاة الظهر) ورغبوا في دينه وأمانته وقالوا أن (زوجته منتقبة) وكل هذا هراء في هراء وهباء في هباء وغباء وإرجاء! جلد ضأن ارتداه الذئب الزنيم ليركب السولوفانيِّين على شتى مشاربهم ويضرب بأفواههم قلوبَ أتباعهم: حتى يسفك دماء الصادقين ويقرب منه الخائنين ويزهق الأرواح ويهتك الأعراض ويفسد المال والنسل! ولو حاكموه إلى مهنته وسابق أعماله ما كان ما كان! لكن أصحاب الهوى والضعفاء عن الحلول الناجزة يبحثون دومًا عن قوة زائفة يستندون إليها! نعم يبحثون عن قوة زائفة لأنهم أنفسهم زائفون!

مفاصل التاريخ التي أصابها التهاب التصنُّع فثناها بل أصابها سرطان النفاق فحطَّمها تشهد بالكثير! تقول أن التصنُّع داءٌ في جسد الأمة سواء كان من ناحية أن الأمة تمارسه وتخدر نفسها مقتنعة أنها لازالت بخير جموعًا وأفرادًا فلا تتحرك لصلاحٍ حقيقي نافع، وسواء من ناحية أن الأمة تُقيِّم أعداءها بمعسول كلامهم وبراق مظاهرهم فتنخدع وتسلم قيادها لأعدائها يذبحونها ومن لحمها يأكلون ومن دمائها يشربون.

تجديد الصوفية..

بالتأكيد لا تقتصر مفارقات المظهرية على السلفيين وحدهم -كما أوضحتُ عند الحديث عن أنواع السولوفانية-! فهي بالأساس كانت شيئا مكرورًا نراه في الصوفية على طول عهدها الحديث -إلا بقايا من النقشبندية في العراق وتركيا وأمثالهم-.. فهم يدَّعون الزهد ورغم ذلك يَلِغُون في الأموال والأعراض، ويدَّعون ترك الخلق للخالق بينما هم يجلسون في حِجْرِ قيصر يَدْعُون الناس لعبادته، ويزعمون تنقية القلب من شواغله عن الله وهم يبخِّرون مجالسهم بالحشيش الذي يُذهب العقل ويجرفه عن سبيل الله!

وكما أن السولوفانية في ثوبها الصوفي جعلت الناس يقدِّسون الزنديق وقاطع الطريق والداعر والسكِّير إذا طار نعشُه بفعل شيطان جنٍّ أو مكيدة شيطان إنس؛ فيجعلونه وليًّا صالحًا رغم سابق علمهم بانحراف سلوكه وعقيدته طوال حياته! فإنها أيضا في ثوبها السلفي جعلت الناس يقدِّسون المنافق والفاسق إذا أضاء وجهُه بفعل النعيم والدَّعة في الفنادق والقصور؛ فيجعلونه شيخا إماما رغم شهادتهم على شرور أعماله وفساد غرضِه. ولقد كان بلال بن رباح رضي الله عنه أسود الوجه لكنه من سادة المؤمنين لكن السولوفانيين لا يعلمون!

فالسولوفاني بدأ سولوفانيته تبريرًا لنفسه وتجميلًا لها؛ يرى نفسه خيرًا من غيره لمجرد أن ظاهره أحسن شكلًا من مظهر غيره! فكذلك هو يبرر لأشباهِه

وكبرائِه؛ يراهم خيرًا من كبراء غيره لمجرد بهاء مظهرهم عن مظاهر غيرهم وزينة ألسنتهم عن ألسنة غيرهم! وهذه من تبريرات اليهود والنصارى الصريحة الواضحة: كانوا يرون أنفسهم على خير مهما عملوا ومهما جَنَتْ أيديهم وألسنتهم وفروجهم يقولون (نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِّ وَأَحِبَّاؤُهُ) وهؤلاء يقولون زاعمين أنهم (الطائفة المنصورة) ويثبتون لأنفسهم الوصف مهما أفسدوا وطَغَوْا وانحرفوا! فيستمرون على وصف أنفسهم بأنهم خِيرة الناس مهما ضربهم الله بعذابات الدنيا ومهما فضح اللهُ فَشَلَهُم وخِزيَهم على رؤوس الأشهاد! فكما أنهم يشبهون اليهود والنصارى في نعرة الكِبر والتبرير ورؤية النفس والجماعة؛ فإنا نقول لهم ما قاله الله لليهود والنصارى (قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَللهِّ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ المَصِيرُ). وإني لم أر أفسد لدين المرء من التبرير! فبه يفعل كل الموبقات وإن لم يمارسها! وبه يذهب أجرُ كل الطيبات وإن مَارَسَهَا! قال صلى الله عليه وسلم «إذا عُمِلتِ الخطيئةُ في الأرضِ؛ كان مَن شَهِدَهَا وكرِهَهَا كمَن غَابَ عَنْهَا، ومَن غَابَ عَنْهَا فَرَضِيَهَا؛ كان كمَن شَهِدَهَا».

وقد كنا نرى السلفية قديمًا مخرجًا من تناقض الصوفية؛ لكن هذا التشابه بين الصوفية والسلفية الآن يدعونا للتفكر بل للحكم الأكيد: أن «السلفية المعاصرة» في حقيقتها هي تجديد الصوفية وثوبها الجديد، وبرعمٌ ينبت شجرتها لتتلون فروعُها بلون الأصولية، وترتدي ثياب السنة فيخدع الشيطانُ بها الناسَ؛

ويتحولوا لقوالب فارغة ودفوف خاوية فتسمع الأرض دقًّا ولا من حركة، ويحس الناسُ ضجيجا ولا طَحْنَ! السلفية المعاصرة هي صوفية تعبد الأحياء (أدعياء المشيخة) بدلا من الصوفية القديمة التي تعبد الأموات (الأولياء المزعومين)، وصانعهما واحد هو شياطين الإنس من الكهنة والطواغيت.. السلفية المعاصرة هي ورقة السولوفان التي تبهرجت بها الصوفية في ثوب خداع جديد.

خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ؟!.

صحيحٌ أن الواجب على المشتركين في الذنوب أن ينكروا على بعضهم البعض؛ كما قيل «حقٌّ على أصحاب الكؤوس أن يتناصحوا»! لكن هل الواجب أن يمثِّل طرفٌ من العاصين على طرف! ويزعم أنه ليس عاصيًا ليفخر على شريكه في المعصية زورًا وبهتانا؟!. بالطبع لا أتحدث عن مجرد المعصية! فلسنا معصومين جميعًا، لكنني أتحدث عن إدمان الذنب والإصرار عليه واستمرائه؛ في ذات الوقت الذي تُنكره على غيرك زاعمًا أنك منه بريء! هنا قال تعالى مخاطبا اليهود (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)؟!. إنها معضلة حقًّا أصابت اليهود حين تاجروا في الخمر وفروج النساء؛ في ذات الوقت الذي كانوا يبكِّتون فيه عرب الجاهلية قائلين لهم منذرين أنه: قد أظلّهم زمانُ نبيٍّ، وأنه حين يخرج سيخرج من اليهود وسيقتلون به العرب ويبيدونهم لأنهم مشركون! أولم يكن اليهود أنفسهم حينها مشركين؟! يعبدون عزيرًا ويقدسون راحيل ويقولون أن يعقوب عليه السلام صارع الربَّ فَصَرَعَه! ويتخذون أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله! نعم لقد كانوا: متناقضين تمام التناقض، مزيفين أيما تزييف، متشبعين بما لم يُعطوا، ذوي وجهين بل ذوي ألف وجه! وهكذا اتَّبعنا سنن اليهود حذو القذة بالقذة حتى إذا دخلوا جحر التناقض دخلنا ورائهم! وإذا تسلفنوا تسلفنَّا مثلهم!

لقد عرفت المجتمعات العربية خاصة المصري وصف «المتدين» وكذلك «المحترم» وأيضًا وصف «السُّنِّي» لكنها لم تعرف وصف «الملتزم» -أو من يسبغ عليه عامةُ الناس لقب «الشيخ»- إلا على أيدي السولوفانيين! ولو شئنا مقارنة مآلاتهم بمآلات اليهود لما تجاوزنا الحقيقة قيد أنملة! فاليهود كانوا هم أبرز أهل الكتاب الذين يزعمون التمسك به والعمل به في وسطٍ من مشركي العرب؛ لكن الله وصف حالهم في تركهم العمل بالكتاب رغم حفظه وقراءته فقال عنهم (كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ) فكيف ترى وصف السولوفانيين أدعياء تمام اتباع الكتاب والسنة حين يؤمنون بالدساتير الوضعية الجاهلية «الجبت» وبالحكام الطغاة المحاربين لله «الطواغيت» إلا: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِيـنَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً) فيفضلون القذافي على الثورة ثم يفضلون حفتر على الثوار في ليبيا، ويقطعون العقود متغنين بخطر الرافضة ووجوب حربهم ثم حين يهجم الحوثيون على «دمَاج» في اليمن يتركونها ويجلون عنها كما تترك المرأة عفتها وتجلو ثيابها للمغتصب دون إطلاق صرخة واحدة! وترى الفصيل الوحيد منهم الذي قاتل بشار في سوريا يسعى الآن حثيثا إلى مودة أمريكا معلنًا قومية سوريا ما بعد الأسد منكرا فضل كل من قاتل معه من العرب إخوة الدين! وفي فلسطين إذا هجمت إسرائيلُ وحاصرت غزة؛ رأيتهم يصدحون بخزايا حماس ويمتنعون عن

العمل مفضلين موالاة حركة فتح! وفي مصر ملأو الدنيا عقودا كفرا بالطاغوت باللسان ثم لما جرى انقلاب الخونة في 2013 تآمروا فيه وصنعوه ورأيت عامتهم يسارعون في مودَّتِه وخدمته والنباح له كالكلاب المخلصين (كَمَثَلِ الكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث)! ولو صدق الواحد منهم وتاب مما هو فيه لأنشد كما أنشدتُ حين تركتهم بعد أن تبيَّنتُ حقيقتَهم في 2011:

أمسيتُ قلبي رائِقًا .. مُستدْفِعًا عنهُ دِثَارَهْ..

و نظرتُ حولي فاحِصًا .. فلم أجد بابَ المَغَارَةْ!

فمضيتُ ألتمسُ الجدارَ .. بكفِّيَهْ أمسحْ غُبَارَهْ..

كَيْما أرى للبابِ في .. دَيْجُورِ ظُلمتِنَا إشارَة!

لكن هوامَ الكهفِ تَلثَغُ .. تارةً و تَعَضُّ تارَةْ..

و إذا يُفاجِئني اللهيبُ .. بضوئِهِ بِئسَ الإنَارَةْ!

ذاك اللهيبُ من انفجارٍ في .. بيوت المُسلمين بكُلِّ دَارَةْ!

و صُراخُ أطفالٍ .. نساءٍ .. دقَّ سمعي بالنِّذَارَةْ..

أتُراهُ نوحٌ أم وعيدٌ .. للعِدَا من بعد غارَةْ!

و رأيتُ مرآةً بكهفي .. ياهاتيك الإثارَةْ!

و لمحتُ نفسي في لهيب .. النَّارِ لم يفقد أَوَارَهْ..

فإذا قواي فتيةٌ .. والطولُ يعلو كالمنارَةْ.

فَحْلٌ قروني بارزاتٌ .. والعيونُ لها شرارَةْ!

لكن عدوِّي آمنٌ من .. غضبتي و بِلاَ اسْتِجَارَةْ!

قارنتُ نفسي بالأولَى مِمَّن يشن الحربَ غارَةْ!

أبطالنا شاكو السلاح هم الأسود المستثارةْ!

قيَّمتُ أعمالي و جُهدي بَيْنَهُم .. من غيرِ ما عَصَبيَّةٍ أو رَدِّ ثارَةْ!

فعلمتُ أنِّي واحدٌ من .. ألفِ ألفِ الألفِ تَيْسٍ مُستعارَةْ!

ورزاياهم سالفة الذكر تلك في المسائل الكبيرة العقدية! وأما في المسائل الأصغر حدث ولا حرج! قنوات فضائية تروج الدجل باسم الطب وتشجع الخنى باسم تيسير الزواج! ومحلات عطور تبيع للمتبرجات أكثر ما تبيع للرجال! ومشاركة رجال الفساد سرَّاق أموال المسلمين في المشاريع التجارية! وتجارة الدين حرفيًّا حيث احتكروا كتب التراث والمصاحف وصار العلم بالثمن

محبوسا على من يدفع؛ ويخرج الشيوخُ مرَّةً تِلْوَ المرَّةِ يُصرِّحون بأن نسخ كتب العلم الواجب حرامٌ وينبغي شراء الكتاب! كأن القرآن والسنة في الكتاب هم من عند صاحب الكتاب وليسوا من عند الله العزيز الحميد الذي أمر بالبيان والتوضيح للناس بلا ثمن ولا مثوبة كما قال الأنبياء لأقوامهم (يَا قَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)! فمن كان يرى نفسه مبلغًا كلام الله ورسوله فذلك واجب البلاغ بلا ثمن! ومن كان مخترعًا كلامًا من عند نفسه يُرضي به الناس أو فئة من الناس فليقبض منهم الثمن! لقد انطلقوا من نقطة (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ) وهي مجرد اللوم على التناقض في حق اليهود إلى التناقض الكامل المطلق الذي يدمغ بالنفاق؛ فصرت تنظر إلى مظاهرهم فتجد كل خير وترجو كل خير وتظن أنهم أسود الإسلام؛ ثم حين يجدُّ الجدُّ ويحمَى الوطيس لم ترهم حولك بل هم أول من يفِرّ! ومنهم من يفرون ليكونوا مع الخوالف (التناقض السلوكي) ومنهم من يفرون إلى معسكر الأعداء (التناقض العقدي) (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ). هم حقًّا عرائسُ من خشب خيوط تحريكها في يد الجاهلية ترقِّصُهَا وتشغل بها الناس لتفريغ الإسلام من مضمونه وتسحر المسلمين عن الهُدى في كلام ربهم وسنة نبيهم! السلولوفانيون هم علمانيون بمظهر إسلامي! هم أكبر عملية علمنة للحركة الإسلامية تمَّت ولا زالت تتم وستبقى تتم طالما

بقي الناس يُقَيِّمون المشاهير بكلامهم وظاهرهم لا بمواقفهم وأعمالهم! فالعالمانية في أوربا لا تمانع من مظاهر البهرجة في الكنائس، ولا في أن يدق كل مواطن نقش الصليب على أي موضع شاء من جسده! بل لا تمانع أن يكون البابا شخصية مرموقة معروفة يتهافت عليها المعجبون! إن العالمانية لا تمانع من أن يحكم من شاء باسم الرب مخادعًا؛ لكنها تمانع حقا من أن يحكم الرب بأوليائه أو يتم تحكيم كلام الربّ حتى بين من ليسو أولياءه! وكذلك السولوفانيون لا يمانعون من مظاهر الإسلام الشكلية لكنهم حقا يحكمون بحكم الجاهلية! (أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِّ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ).

العصافير..

من أفظع ما جنته السولوفانية على الحركة الإسلامية –بتعدد مشاربها واختلاف جماعاتها- أنها سهَّلت لأعداء الإسلام اختراقها والتدسس فيها والتجسس على أفرادها وجماعاتها وخداعهم.. فطالما كان المقياس في عين المسلمين هو «الهدي الظاهر»: سواء الملبس أو شعر الوجه أو غطاءه مع بعض الشعائر السهلة أو حتى القضايا الظاهرة الحنجورية فقط دون النظر إلى السلوك وطهارة اليد وعفة الفرج والولاءات والعلاقات والمآلات؛ فإنه يسهل على أي جهاز أمني أو أصحاب أي عقيدة كانت أن يدَّعُوا ذلك المظهر المرغوب أو ذلك الموقف المطلوب نفاقا وتزييفا؛ ليستطيعوا بموجبه الدخول وسط المسلمين: فيعرفوا أخبارهم، وينقِّبوا عن أسرارهم، ويكيدوا لهم، أو يعبثوا بوَعْيِهِم ويفرقوا كلمتهم، أو حتى ينصبوا حولهم شباك الخديعة فيسرقوا أموال الله التي في أيديهم (لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * لَقَدِ ابْتَغَوُا الفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ)..

وكما سقت أمثلة تاريخية وعامة ظاهرة في فصل «أم الكوارث» سأسوق هنا أمثلة حية ماثلة لكن مع إخفاء الأسماء.. هي بعض الأمثلة الكبيرة الضرورية لتوضيح خصائص وصفات العصافير..

فتجد محاميَين شهيرين جدًّا بمجرد التزام اللحية القصيرة والاجتهاد في انتخابات نقابة المحامين؛ نجحا في اختراق الإخوان وصعدا في الجماعة.. حتى آن الأوان: فكتب أحدهم كتبا افترى فيها على الإخوان بكل سوء معتمدا على بعض الأحداث الحقيقية مع زيادة إضافاته الشيطانية وتفسيراته المنحرفة لتلك التصرفات؛ فصار ينعق على الجماعة كغراب الخراب! بينما الآخر انطلق يختار عيوب دستورهم ويعيب فيه وهو ينوح! ثم صار يؤيد الطاغوت وهو ينقلب عليهم ويقتلهم ولا يزال يختار اختيارات الطاغوت وينوح! وبان ما في نفوسهم في وقته لكن بعد فوات الأوان! ولو اتخذ الإخوان مع هذين العصفورين مقياس التجرد وترك الطمع والمنفعة؛ لم يكونوا أبدا ليضموا هذين الرجلين إلى صفوفهما لكن السولوفانية كانت هي الداء فتم تقييمهم بالمظهر والحنجرة بصرف النظر عن فساد الغايات وانحراف السلوك!

وآخر قيادي شهير صعد صعودًا صاروخيا في الجماعة إثر موقف إعلامي أشهر أدَّاه في شبابه مع السادات على أنه معارض يقول كلمة الحق، ثم استمر لعقود ظاهرًا في مجال الإغاثة الإسلامية وله فيها كثير من الفتوح! وصار يصعد الصعود تلو الآخر عبر إظهار الطاعة لمرشد تلو آخر! حتى كاد أن يعتلي كرسي المرشد فانكشف وأقالوه! ورغم انكشافه لهم لم يفضحوه! فكان مما جناه بعد ذلك أن نافسهم في انتخابات الرئاسة لصالح الطاغوت! ثم أعلن تأييده له حين انقلب وصار يذبحهم ويذبح سائر الإسلاميين معهم في الشوارع وينتهك

الأعراض! ولو انتهج الإخوان مع هذا العصفور منذ البداية نهج المحاسبة على الولاءات وانحراف المنهج مع التدقيق في العلاقات المشبوهة لاكتشفوه باكرا قبل أن يكون شيئا! لكنها السولوفانية في التقييم عبر اعتماد الولاء لشخص مرشدٍ أو آخر بصرف النظر عن مآلات أفعاله وفي صالح من تصبّ!

وتجد رجلًا بمجرد التزام اللحية الطويلة والحديث المنمق عن الجهاد والتنظير له في عز أزمة الجهاديين مع النظام تمكن من الصعود على دَرَجِ التنظيمات الجهادية وصار مُنَظِّرهم الأول فأسموه بالدكتور ونسبوا إليه الفضل! حتى إذا كبر سنُّه فيهم وتمكّن وآن الأوان؛ فبدأ بكتابة المراجعات الفكرية وصارت كتبه هي المرجع الأول لكل التنازلات العقدية والتنظيمية –السليمة والمنحرفة؛ والمنحرفة هي السم في العسل– التي قامت بها التنظيمات الجهادية من داخل السجون! وشوهدت نسخة من كتابة الأول في المراجعات في أيدي البعض عند اقتحام مقرات أمن الدولة كانت مهداة إلى قيادةٍ أمن دولجية كبيرة مختومة بعبارة «رجاء أن يحوز رضاكم»! ولو اتخذ الجهاديون مع هذا العصفور مقاييس التجرد والوضوح وترك الطمع والمنفعة لم يكونوا أبدا ليضمُّوه فضلا عن تسويده عليهم وأن يرفعوه؛ لكن السولوفانية كانت هي الداء فتم تقييمه بحنجوريته بصرف النظر عن غياب الإنجازات والسلوكيات المريبة مع الأمن طوال سنوات!

وتجد ضابطا شابا بمجرد اشتراكه -اشتراكا لا يثبُت- في القضاء على الطاغوت؛ رفعه من يكفرون بالطاغوت إلى مرتبة القديسين واتخذوه طوال سنين إمامًا وعَلَمًا! حتى إذا كبر سنه في السجن وحل طاغوتٌ مكان آخر وانقلب على المسلمين؛ قام يدعو للاستسلام والسكينة! وهو طوال فترة سجنه كان يدعو أصلا للاستسلام للطاغوت الذي قبله ويدعو إلى السكينة –بدلا من السكّينة بتشديد الكاف–! ولو عادوا إلى الحادثة التي رفعته وأشهرته لوجدوه ومن معه تركوا الطاغوت الآخر عن عمد بدلا من القضاء على كل الطواغيت! ولو قضوا على الجميع لوفروا على مصر ثلاثين سنة من العذاب لكنهم قالوا له (ابعد انتا مش عايزينك)! فهل استقام موقفهم الأول مع ما يزعمون من عقيدة؟!.أم مواقفهم طوال عقود هي التي تستقيم مع حقيقتهم؟!. ولو طبق الناس وأولهم أتباعُهم طريقة التقييم بالحقيقة التي يلمسون وتركوا سولوفانية التقييم بالأوهام لأفلحوا ولوجدوا لهم في ثلاثة عقود قيادة أولى من هذا العصفور وأنجح! لكنها السولوفانية!

وآخر في السلفيين جاء باسم فارسيٍّ! من عائلة غير ذات جذر في بلده لا يسمون بأسماء الصحابة أبدًا إلا الذين كانوا مع علي رضي الله عنه والذين ماتوا قبل الهجرة! جاء بكلام منمق في العقيدة ينشره بنفسه ويروج له أتباعُه بلا سابقة دراسة منه على يد شيخ ولا غيره! وعاش الرجلُ شيخًا يعتبر الحاكم بغير ما أنزل الله طاغوتًا وأتباعه عبيد طواغيت وجيشه جيشًا جاهليًّا ويجمع حوله الناس على

ذلك؛ لكن يخفض ويرفع فيمن حوله بهواه، أو بالأصح ينتقي أشباهَهُ.. حتى آن الأوان فصرَّح بولاء الطاغوت وجيشه وصار من أبرز أعوانه! ولو فحص الناسُ كتبَه منذ البداية فأخرجوا سرقاته من فتاوى علماء نجد وانتحاله كلمات مفكري مصر وراقبوا ذهابه وإيابه ومسار أمواله وأموال من معه وحاسبوه على الصراخ بخطر الشيعة بينما لا يكفِّرهم ولا حتى الإنثى عشرية الإيرانية الشعوبية التي ينتمي اسمه إلى أسمائهم! ولو حاسبوه على إخراج جيل أصولي المظهر يهودي السلوك والقلب أو رافضي الحقيقة! يستخدم التقية ويُبطن الحقد على المسلمين؛ لو تركوا السولوفانية في التقييم لعرفوا حقيقته أنه ربما تحدَّر من أصفهان –أقول ربما– وكذلك لانكشفت حقيقة أتباعه منذ البداية ولكنها السولوفانية! فالمظهر الأصولي والحنجورية تكفي ولو كان في الأصل من الريبة ما فيه، وفي السلوك من الانحراف ما فيه طوال عقود!

وآخر نبت فقيرًا معدمًا لكنه حلو الكلام يجيد دفع الناس إلى البكاء! وصار شيخًا يُشار له بالبنان وكذلك يشار إليه بريموت التلفاز على الفضائيات! ففي القرآن كأنه أُبيّ وفي الشعر كأنه حسّان! ولما آن الأوان لم يهجُ وروح القدس معه! لكن كأنه صار العضو الملتحي في المجلس العسكري؛ يدعو لهم وهم يذبحون الشباب ويقدسهم على عرفات كأنهم خلفاء المسلمين الأوائل! ولو ترك الناسُ مسوحَ التزهد وحلو الكلام وحاسبوا هذا العصفور على أخذ عطايا الملوك والرؤساء وعلاقته بأمن الدولة التي صرح بها غير مرة ومصاهرته لأعضاء

المجلس العسكري لما كلفوا أنفسهم سنوات من الخديعة! لكنها السولوفانية في التقييم التي أوردتنا الموارد وجعلت على أعناقنا من المنافقين كل راكبة وراكب!

والليبرالي الذي ظهر باكيا منتحبا بعد يناير بأيام؛ حزينًا على القتلى في سبيل الحرية.. ثم لم يلبث أن أمسى رسول الأجهزة السيادية إلى الإسلاميين؛ كلما همُّوا بتحرُّك جماهيري كبير يُظهر قوّتهم أسرع ينقل إليهم رسائل سادة المخابرات أن يؤجلوا أو يُلغوا فعالياتهم! ثم لما أظهر أسيادُه نابهم الأزرق وانقلبوا على الإسلاميين علانية وذبحوهم وانتهكوا أعراضهم وألقوا بقيتهم في السجون وتركوا النادر خارجها بين طريد ومخنوق: اختفى ولم تسمع منه إلا صوت صرصور الحقل في فراغ الليل البهيم! ولو انتهج الناس مع هذا العصفور نهج الفحص المنطقي عن تاريخ من يلمعه الإعلام لوجدوه إسلاميا سابقا اختار أن ينضم إلى أسياده العسكريين! ولوجدوا أن القنوات التي قدّمته للناس هي قنوات النظام ذاته! تقدم وجها مدنيا ليحسب الناس أن العسكر لا يحكمون بينما هم يقودون ويرأسون ويديرون كل شئ! كان النظام يمتص بتلك الدموع الزائفة غضب الناس! وما هي إلا دموع التماسيح! إنها السولوفانية التي توقعنا في فك تمساح تلو تمساح وإنها والله توشك أن تجعلنا فريسة لوَزَغْ!

وذلك الاشتراكي الذي ثار وهاج وماج داخل الإطار أيام مبارك! فأقام حركةً كأنها كذبة أبريل! وادعى الدفاع عن الحريّات وحقوق العمال ثم لمّا اعتلى

صهوة التواصل الاجتماعي مال! مال هو الآخر إلى من كان يدَّعي الثورة عليهم وأيدهم في طغيانهم وصرّح أنه كان يعلم ما يعدّه الأسياد للإسلاميين لكنه رغم ذلك شارك وبارك! فإذا ألقاه أسيادُه في السجن بتهمة التظاهر؛ حينها تظاهر بالبكاء والندم وقام سولوفانيُّو التقييم من الإسلاميين فتعاطفوا معه ومع الآخر الملحد ثائر الشعر لا الثائر الحقيقي الذي صرَّح بوجوب إبادة اعتصاماتهم عن بكرة آبائهم وأمهاتهم ونسائهم وشيوخهم وأطفالهم! نسوا أن هذين العصفورين مصنوعان! ونسوا أنهم مشاركون في ذبحهم! ولم يتذكروا إلا بعض مواقف حنجورية تجيدها كل عروس خشبية ترقص على مسرح الأحداث لتخدع من يعمون أعينهم عن الحقائق ليصدقوا الخيالات والأوهام! إنها السولوفانية اللعينة.. لعينة على كل حال سواء اعتنقتها أو قيّمت الناس على أساسها، وضررها واحد في الحالتين دمارٌ في دمار.

وغيرهم وغيرهم كثير.. وإن كانت الأمثلة السابقة من الكبار المشاهير وإن أضمرت أسماءهم؛ فالعصافير كثيرةٌ في الصغار أيضًا.. كثيرةٌ بصورة ملفتة؛ لأن الذي يصنعهم يحسب حساب انكشافهم فيضع الكثير منهم عالمًا أن سيستمر منهم القليل.. كثيرون اندمجوا في لجان تأمين المظاهرات التابعة للإخوان لكنهم قدَّموا قوائم كاملة بأسماء أعضاء اللجان للأمن! وكثيرون ملتحون يعملون في أجهزة الكمبيوتر أعلنوا تطوعهم بتجهيز النافرين إلى سوريا وليبيا بالمعدات الأليكترونية البسيطة فزرعوا فيها ما كشف مواقع الشباب وأدى لاعتقالهم أو

قصفهم هم وغيرهم ممن يتواصل معهم! وكثيرون هاجموا الأنظمة على وسائل التواصل حتى إذا تواصل معهم متواصل بهدف التعاون سلَّموه لتلك الأنظمة! وكثيرون اندمجوا في مظاهراتٍ للإسلاميين فهيَّجوها ليسوغ للأمن القضاء عليها بذريعة تحطيم الممتلكات ومن ثم الإرهاب! وكثيرون من هؤلاء تم زرعهم في السجون يتجسسون على المعتقلين ثم تم زرع آباءهم وأمهاتهم على أهالي المعتقلين يعرفون أخبارهم وطرق تهريب ما يريدون من لوازم إلى أبنائهم ومن ثم يتمكن السجَّان من إيذائهم والقبض عليهم! وغيرهم انتحلوا صفة المجاهدين ورجال الإغاثة ليجمعوا الأموال من الناس بحجة دعم الجهاد والمنكوبين بينما هم يأكلونها أو ينفقونها على الخمور والنساء! وكثيرون كثيرون تعينهم السولوفانية على اختراق صفوف المسلمين والكيد لهم! ولو اتخذ المسلمون حذرهم من السولوفانية ومقتوها ولم يجعلوا «الهدي الظاهر» وسيلةَ تقييم ليعودوا إلى وسيلة التقييم الأصلية (العِشرة ومراقبة السلوك).. لو عادوا إلى الواجب في التقييم لانصلح الحالُ ولما تم تخوين الأمين وائتمان الخائن، وإنه لزمان عجيب قال فيه صلى الله عليه وسلم: «سَيأتي على الناسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ، يُصَدَّقُ فيها الكَاذِبُ، ويُكَذَّبُ فيها الصَّادِقُ، ويُؤْتَمَنُ فيها الخَائِنُ، ويُخَوَّنُ فيها الأَمِينُ، ويَنْطِقُ فيها الرُّوَيْبِضَةُ. قيل: وما الرُّوَيْبِضَةُ؟ قال: الرجلُ التَّافِهُ، يتكلَّمُ في أَمْرِ العَامَّةِ» فما الذي جعل الناس يخوِّنون الأمين إلا صمتُه في حق نفسه وعدم تظاهره بالشرف وإن كان له أهل؟! وما الذي جعلهم يأتمنون

الخائن إلا ادعاؤه العفة والشرف وهو ليس لهما بأهل؟! وما الذي سوَّد التافه إلَّا رداءٌ من الزيف يرتديه أمام الناس؛ وإن كان عاريًا من العقل والعمل والشرف؟!

ولقد أنتج الإعلام الفلسطيني المقاوم مسلسلاً كاملا هو «الفدائي» ليعالج مشكلة العصافير تلك ويُبين طرق زرعهم وسط المسلمين وكيف يستخرجون المعلومات وكيف يكيدون المسلمين بها؛ فنشر ثقافة تمييز العصافير بين جمهور مؤيديه كما قد أنشأت حماس منذ بدايتها أجهزة استخبارية لتتبعهم ورصدهم والقبض عليهم بعد أن استمر بعضهم في العمالة المستورة بالسولوفانية –على أنواعها– لثلاثين عاما ويزيد دون أن يكشفهم أحد! وكذلك أنشأت حركاتٌ إسلامية كثيرة في الشام وأفغانستان وليبيا أجهزة استخبارية لتطهير صفوفها فأفلحت وأنجحت.. وكذلك فعل الإعلام التركي المدعوم من حزب العدالة والتنمية حيث أنتج مسلسل «قيامة أرطغرل» يحكي قصة نشاة الدولة العثمانية وكيف واجه مؤسسوها العملاء والأخطار الداخلية أولًا ومن قبل المسلسل اهتم العثمانيون الجدد بالسيطرة على جهاز المخابرات العامة عبر تولية مسؤوليته لـ«هاكان فيدان» وكذلك عسفهم بـ«الكيان الموازي» المدعوم أمريكيا وأهمه جماعة الخدمة التابعة لـ«فتح الله جولن» رغم كافة مظاهر الإسلام الواضحة في تلك الجماعة.. وكذلك فعلت طالبان حين عكست كيد الـCIA في تجنيد «همام البلوي» رحمه الله واخترقت ستارها الأمني لينسف همام نفسه في 7 ضباط من

كبار ضباط الجهاز في عملية مدوية هزّت العالم.. وجبهة النصرة إذ انفصلت عن داعش كاشفة سولوفانيتها وأسست لجهاد واعد في سوريا بعيدًا عن اختراق بقايا البعث وعملاء الغرب للجهاد العراقي.

فهل ينتبه الإسلاميون المصريون لذلك فيفلحون؟!. (قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللهُّ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ).

ورقة التوت الأخيرة..

لا تحسب أخي القارئ ولا تحسبي أختي القارئة أن تلك القشرة الظاهرية وذلك الاسم الرنَّان رنين الطبل الفارغ «الالتزام» أو «التدين» يكون عزيزًا على صاحبه إذا تعارض مع هدفه الأصلي من ذلك الادعاء! والهدف الأصلي هو تغليف فساده بغلاف مقبول اجتماعيا ولو كان مقبولا في جيتو اجتماعي ضيّق! فأنت تجد المنافقين عقديا خلعوا القُمُصَ القصيرة وحدَّدوا لحاهم وارتدوا الكرافتة –بعد أن كان كل هذا حراما شنيعا في أدبياتهم بدعوى مخالفة الكفّار– كل ذلك من أجل صور دعاية انتخابات البرلمان –المجالس التشريعية كانت شِركًا هي الأخرى!–، فضلا عن الظهور الإعلامي المرتبط بالترويج لأنفسهم وجماعتهم كمخلّصين من إخوانهم الإسلاميين الآخرين مناهضي الطواغيت! وكذلك تجد المنتقبة السولوفانية تسارع بكشف وجهها عند قرار في جامعتها بمنع النقاب! فلا ترتدي كمامة طبية مثلا لتصنع ما تريد وتغطي وجهها دون إشكال فضلا عن أنها لا تضحي بالدراسة سنة ولا سنتين من أجل ما تؤمن به! إن أسرع ما يخلعون في الأزمات: هو ورقة التوت الأخيرة تلك! لأنها ورقة مقطوعة من شجرة! لا جذر لها ولا حياة لها في نفوسهم! إن مظهرهم البراق لا أصل له ولا أساس له في نفوسهم لذلك فهو عندهم رخيص! وأما الصادق فيضحي في سبيل ما يؤمن به بصرف النظر عن التبعات.. بل يتلقى التبعات

بقلب مؤمن راضٍ بقضاء الله كافر بالطواغيت وأذنابهم (قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)! صاحب المبدأ لا يترك القيمة من أجل المصلحة، ولا يضحي بالقيمة خوفا من المفسدة! صاحب القيمة والمبدأ يضحي في سبيلهما بكل غالٍ ونفيس! وإذا تحول عن هذه القيمة أو تخلّى عن هذا المبدأ فلابد أن يكون تحوله إلى قيمة ومبدأ صار يراهما أسمى مما كان عليه، أو أنفع للمسلمين، أو أحفظ لآخرته ولو ضرّت بدنياه.

رمتني بدائها..

وتجد السولوفاني.. ذلك الزائف المنحط عقديا أو سلوكيا أو المريض سيكوباتيا.. تجده عظيم الشماتة في غيره ممن سقط عنه السولوفان؛ خاصة قطع الحلوى الحقيقية إذا سقط سولوفانها! فزائف المظهر هذا أجوف الحقيقة تجده عظيم الفرح إذا حلق صادقٌ لحيته اضطرارا حقيقيا حتى لا يُعتقل بعد تظاهرة أو في كمين مثلا! وتجدها عظيمة الشماتة في امرأة صادقة إذا خلعت نقابها اضطرارا هي الأخرى حتى لا تُعتقل فيُهتك عرضها في غابتنا المصرية كثيرة الوحوش الجاهلية التي نحيا فيها! ربما كان مخرج السولوفاني أنه يمتلك كارنيه حزب عَبَدِ الطاغوت! وربما كان مخرج السلولوفانية هاتف صديقتها زوجة الشيخ الأمنجي؛ تهاتفها إذا ما تم اعتقالها خطأ وحبسها أمين الشرطة في الكمين امرأةً صادقة وأراد أن يبطش بها! لكن ما مخرج الصادقين إذا اضطُرُّوا أن يتنازلوا عن قشرتهم ليحافظوا على ما بقي سليما في داخلهم بعد أن تحطم أكثر ما يملكون من عزّة وثبات.. يسمُّون من تقشَّر في سبيل البقاء «منتكسًا» بينما هم في الحقيقة قلوبهم منكوسة! سوداء مربادّة (متفعنة) كالكوز مجخيًا كما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم من «لا يعرِفُ معروفًا ولا ينكرُ مُنكرًا إلَّا ما أُشرِبَ مِن هواهُ».. إن التنازل عن ضعف أو ضيق –لا عن مصلحة ومنفعة– هو الزلزال

الذي ربما أسقط واجهة بناية سليمة فشمت فيه صاحبُ البناية المتهالكة المجاورة الذي طالما زوَّق واجهة بنايته ليخدع المستأجرين الجُدد المساكين!

من أعظم علامات السلولوفاني أنه يقدس المظهر ويحتقر المخبَر –بفتح الباء عزيزي القارئ وإلا فإن أكثر السولوفانيين يقدس المخبِر بكسر الباء أيضًا–، هو يقيِّم الناس على أساس الكمِّ لا الكيف.. الكم في المال والجاه والسلطان.. وكذلك الكم في الدين! فكلما طالت لحية أحدهم زادت عظمتة في نظر السولوفاني ولو كان نصَّابًا! وكلما زادت طبقات نقاب إحداهن زاد تقديسها ولو كانت ضحكتها الرقيعة تصدح من تحت النقاب! وكلما ستّف الشيخُ الإجازات فوق الإجازات زاد تقديسه له وإن كان بعضها مزورًا مشترىً بالمال زائفًا أو ممنوحًا مجاملةً ومصلحةً! وكلما سمع عن متهجد بالليل في رمضان أو غيره أقنع نفسه برؤية هالة الإيمان حول وجهه وإن كان في وجهه عبوس الحلف الكاذب جرّاء تجارته بدينه وعِرضه في السوق طوال الصباح!

والسولوفاني في كل ذلك لا يقبل النصيحة ممن هو أقل منه مظهريةً في الزي والأعمال؛ وإن كانت النصيحة صادقة.. فهو يجحد الحق إذا جاءه ممن لا يروق له مظهره، وهو بذلك أيضا يحتقر الأفاضل وإن كانوا مقصِّرين في بعض الشعائر الظاهرة أو في النوافل التي يراها الناس! فهو مصاب إصابة متأخرة بداء الكِبر في

قلبه؛ إصابة تجعله يحتاج عملية قلب مفتوح عاجلة تغيّر فيها شرايين أعماله القلبية! و« الكِبرُ بَطرُ الحقِّ وغمطُ النَّاسِ ».

وتجد الكبر أظهر ما يكون في تقسيمه الناس قسمين: الأول هو «الخواص» وهم أهل الزيِّ والأعمال الظاهرة التي يفضلها، فهم عنده بالدنيا وما فيها وإن كانوا هِيشًا على مافيش! والثاني «العوام» وهم من يخالفون ما اعتاد عليه من مظهريات فارغة وإن كانوا أهل علم نافع يعملون بها يعلمون أو أهل جهاد ونضال وأعمال جارية! و« رُبَّ أشْعَثَ أغبرَ ذي طِمرَينَ مدفوعٍ بالأبوابِ لَو أقسمَ علَى اللهِ لأبرَّهُ». وهكذا السلولوفاني دينه السلولوفانية؛ كالحشرات قشرتها خارجية وليس لها هيكل عظمي داخلي! جرب أن تفعل في سولوفاني كما تفعل في الصرصور! ستجد باطنَه قد انفجرَ صديدًا قذرًا رغم أن قشرته الخارجية الزَلِقَة لاتزال باهية اللون برّاقة.

وكما قال أبو اسحق الألبيري الأندلسي رحمه الله:

فرأسُ العلمِ تقوى اللهِ حقًّا .. وليسَ بأن يُقال لقد رأستَ

إذا ما لم يُفدْكَ العلمُ خيرًا .. فخيرٌ منه أن لو قد جهلتَ

وإن ألقاكَ فهمُك في مَهَاوٍ .. فليتَكَ ثم ليتَكَ ما فهمتَ

وإني كنتُ لا أفهم مقولة «ابن عطاء» التي يرددها الناس فهمًا جيِّدًا؛ وهي: «رُبَّ معصيةٍ أورثت ذلًّا وانكسارًا خيرٌ من طاعةٍ أورثت عزًّا واستكبارًا»؛ كنتُ لا أستوعب كيف تكون الطاعة مقبولةً عند الله ثم تورثُ الفساد؟!. لأن الأصل في علامة قبول الطاعة هي أن يوفقك اللهُ للطاعات الأكبر منها بعدها فتستقيم وينصلح حالُك! لكني بعد أن رأيتُ السولوفانيةَ على حقيقتها فهمتُ أن الطاعة المقصودة في تلك المقولة هي الطاعة الزائفة المظهرية غير ذات الجذر في القلب ولا الأثر في النفس! وكذلك تلك المعصية المفيدة! هي المعصية التي تاب صاحبُها الصادقُ مع الله توبةً نصوحًا؛ فوفقه الله لأعمالٍ كريماتٍ بعدها فغفر له وأصلحه وأصلح به ونفع به نفسَه والناس.. وتأمَّل ما قاله ابن القيم رحمه الله تعليقًا على معصية آدم عليه السلام ثم توبته:

«وهذا معنى قول بعض السلف: إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنة، ويعمل الحسنة يدخل بها النار.

قالوا: كيف؟ قال: يعمل الذنبَ فلا يزال نُصْبَ عينيه، منه مشفقاً وجلاً باكيًا نادمًا مستحيًا من ربه تعالى ناكس الرأس بين يديه منكسر القلب له، فيكون ذلك الذنب أنفع له من طاعات كثيرة بما ترتب عليه من هذه الأمور التي بها سعادة العبد وفلاحه، حتى يكون ذلك الذنب سبب دخوله الجنة. ويفعل الحسنة

فلا يزال يمنّ بها على ربِّه ويتكبَّر بها ويرى نفسه ويعجب بها ويستطيل بها ويقول فعلت وفعلت، فيورثه من العجب والكبر والفخر والاستطالة ما يكون سبب هلاكه....

فإن العارفين كلهم مجمعون على أن التوفيق أن لا يَكِلَكَ اللهُ تعالى إلى نفسك، والخذلان أن يَكِلَكَ اللهُ تعالى إلى نفسك.

فمن أراد الله به خيراً فتح له باب الذل والانكسار، ودوام اللجوء إلى الله تعالى والافتقار إليه، ورؤية عيوب نفسه وجهلها وعدوانها، ومشاهدة فضل ربه وإحسانه ورحمته وجوده وبره وغناه وحمده.

فالعارفُ سائرٌ إلى الله تعالى بين هذين الجناحين، لا يمكنه أن يسير إلا بهما، فمتى فاته واحد منهما فهو كالطير الذي فقد أحد جناحيه. قال شيخ الإسلام: العارف يسير إلى الله بين مشاهدة المِنَّةِ ومطالعة عيب النفس والعمل.

وهذا معنى قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح من حديث بريدة رضي الله تعالى عنه «سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء بنعمتك علي وأبوء بذنبي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا

أنت» فجمع في قوله صلي الله عليه وسلم أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل.

فمشاهدة المنة توجب له المحبة والحمد والشكر لولي النعم والإحسان، ومطالعة عيب النفس والعمل توجب له الذل والانكسار والافتقار والتوبة في كل وقت، وأن لا يرى نفسه إلا مفلسًا.... ولا طريق إلى الله أقرب من العبودية، ولا حجاب أغلظ من الدعوى. والعبودية مدارها على قاعدتين هما أصلها: حب كامل، وذل تام» [الوابل الصيّب من الكلمِ الطيّب، ص7-9، بتصرُّف].

جريمة فوق جريمة..

ومع أن السولوفانية جريمة قائمة بذاتها.. جريمة يمارسها الإنسان في حق نفسه قبل أن تكون جريمة موجهة في صدر المجتمع المسلم (يُخَادِعُونَ اللهَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ)! فإن هناك جريمة أخرى تكاد تكون أكبر منها يمارسها السولوفاني.. جريمة يمارسها بضمير ميّت حين يملّ من سولوفانيته أو يجدها ستضرّ دنياه! إنها جريمة الفجور، المجاهرة، الاستحلال! فهو رغم كونه مظهري الحياة في زيّه وعباداته وتحصيله العلمي إلا أنه مع تناقضه يبدأ شيئا فشيئا في تمام الانفصام! ويرغب كأي بشري في الحياة بوجه واحد من وجهيه اللذين يغيرهما باستمرار كما يغير أحدنا ملابسه! وما ظنُّك بمن لم يستقر الإيمان في قلبه؟! هل تُراه يختار الشخصية القشرية الواهية؟ أم يتمسك بالجذر المتعفن داخل قلبه الذي لم يتغير يومًا أو تغير قليلا ثم عاد إلى حاله يوم تسمّى زورًا باسم الالتزام أو التديُّن! بالطبع إنه يزيل السولوفانة شيئا فشيئا مختارا إبداء قطعة الغائط بداخلها التي طالما خدع الناس فحسبوها قطعة حلوى! فتجده شيئا فشيئا يأخذ من أطراف لحيته وتتساهل في نقابها ويترك مراجعة الحفظ ويقل ذهابه إلى المسجد وتبدأ في العودة لسابق عهدها من حديث الرجال وهم في كل ذلك على أفعالهم الباطنة أو السريَّة التي تناقض ذلك المظهر الذي بدأ يذوب في حرّ الاختبارات الحياتية المتتالية! شيئا فشيئا يصير السلولوفاني لا مظهر ولا مخبر

–بفتح الباء أيضا هذه المرة– شيئا فشيئا يبحث عن الاستقرار النفسي فيختار ما يحبه ويرتاح إليه! يختار الذي لم يُرِد أن يتخلَّى عنه منذ البداية! يختار المعدن الصدئ ويترك الغلاف القشري المؤقت الهزيل! فتجد الشيخ الذي طالما حرَّم حلق اللحية من أجل عمل يسد الجوع يدفع ولده لحلقها كي يلتحق بالكليات العسكرية التي طالما أفتى قديما أن دخولها جاهلية والعمل بالجيش بعدها شِرك! وتجد الفتاة المنتقبة تزركش في ثيابها أو تبدأ في فتح الباب للتعارف من أجل الحب إذا تأخر عنها قطار الزواج أو لم يتأخر لكنها تخشى أن يتأخر! وهكذا لا تصمد المظهرية أمام الضربات الحياتية المتتالية من مطامع ولزوميات لا يتهاون فيها الصادق الذي أراد الله منذ البداية بظاهره وباطنه! وهذا ما لا نريده والله! إنما نريد للجميع الهداية حق الهداية وكذلك الثبات حتى الممات!

ما بعد السولوفانيّة..

ولأن الاتساق مع النفس ضرورة بشرية دفعت السلولوفانيين في النهاية إلى إلقاء ورقة التوت الأخيرة والظهور عرايا، بالتضامن مع أن هناك جهات يهمها أن يبقى المسلم سولوفانيا منافقا أو سيكوباتيا؛ لا مؤمنا حقيقيا واعيا.. لأجل اتحاد هوى السولوفانيين مع أغراض شياطين الإنس فقد نشأت فئة جديدة من السولوفانيين تدعمهم ماليا وإعلاميا مراكز بحثية استخباراتية خليجية وكذلك جمعيات أمريكية.. تماما كما كانت ذات الدول الخليجية ترعى أسلافهم السولوفانيين القُدامى.. بدأت هذه الفئة تبث تنظيرات أهون في تمسكها بالهدي الظاهر؛ لكنها لا زالت مظهرية تحجز المسلم عن حقيقة دينه وتحيّده عن الصراع مع قوى الشر المتغلِّبة وحتى قوى الشر داخل نفسه! خرج هؤلاء السولوفانيون الجُدد ينتقدون السولوفانيين القُدامى باسم التجديد! وباسم الشباب وباسم أنهم مختلفون عمّن سبقهم! وقدموا التنظيرات التي تُكسب السولوفانيِّين سولوفانيةً جديدة أكثر شفافية لكنها أستر من ورقة التوت الأخيرة!

لكننا لن ننخدع هذه المرة! فهؤلاء الجُدد قشريُّون أيضا طالما لا يريدون لتلك القوى الميتافيزقية «الإيمان» التي تحدث عنها جمال حمدان بموضوعية أن تنطلق وتحكم الفرد والمجتمع!

وستبقى السلوفانية تتجدد طالما بقي أعداؤنا يحكموننا ويريدوننا عرائس من خشب خيوطها في أيديهم، وطالما بقيت جماهير الأمة تريد إسكات الضمير في راحة زائفة بدلا من التغيير الحقيقي الذي يُثمر عودةً إلى نقاء الفطرة وراحة البال الحقيقية.

كيف نحاسب أنفسنا ونحكم على الناس؟

يمكن أن نلخص غرض الكتابة هنا في: أن المواقف العامة –خاصة مسائل الحكم–، والسلوكيات الشخصية –خاصة مسائل الأعراض والأموال– هي التي تحكم على الشخص وتحدد كونه مؤمنا أو محسنا أو على أول عتبات الإسلام، وهي التي يمكنها وصمه بالكفر أو الفسوق أو العصيان.. ويلزمك لتحكم على أحد أن تُطِيلَ عِشرَتَه وصُحبَتَه ومراقَبَتَه. لا ينبغي للانطباع الأول أن يدوم حتى يوضع تحت المجهر! ولو نظرتَ إلى بداية انتشار الإسلام وقوة نواته الصلبة فترة الدعوة السرية وقبل الجهر بها؛ لوجدت السبب في قوة بدايته ورسوخها أنه انتشر ابتداء بين من يتمتعون بروابط قوية فيما بينهم؛ فأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها هي زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم التي رُزق حبَّها، وأبو بكر صاحبه، وعلي ابن عمه ويكفله في بيته مع أولاده، والزبير ابن عمّته رضي الله عنهم أجمعين.. ولو لم تكن المعرفة بهذه القوة فلربما لم يكن التصديق متوافرًا لأول وهلة، و لربما انكشف سرُّ هذا الدين مبكرًا قبل الأوان فتمت مهاجمته وليدًا ومن ثم وأد فكرته..

وعلامة المؤمن –ولن أقول الملتزم– هي ما أشار إليه المؤرّخ محمود شاكر رحمه الله حين وصف حال المؤمنين زمن سيادة الجاهليين المستبدين فقال:

«ويبتعد العالمُ إذ لا يقبل الاستبداد، وينفر العفيفُ حيث يمتنع عن الطلب ويأبى الإهانة، ويتجفجف الكريمُ إذ لا يرضى الذلَّ والهوانَ، وينأى العزيزُ ويشمخ مما يرى من التمرُّغ أمام هؤلاء المتغطرسين لجهلهم المتجبّرين لسوء خلقهم... وينتقد الفضلاءُ الوضع وما صار إليه من ضعةٍ إذ ارتفع الوضيعُ، وساد الوغدُ، وعزَّ الذليل، وذلَّ العزيزُ» [سيادة الجهَّال: 82]. وزد على هذه العلامة أنهم لا يحقرون أنفسهم فلا يصمتون خشية الناس؛ قال صلى الله عليه وسلم «لا يُحَقِّرَنَّ أحدُكم نفسَه» قالوا: وكيف يُحَقِّرُ نفسَه ؟ قال: «أن يَرى أمرًا لله فيه مقالٌ فلا يقولُ به فيَلقى اللهَ تبارَك وتعالى وقد أضاع ذلك فيقولُ: ما منَعكَ ؟ فيقولُ: خشيةَ الناسِ فيقولُ: فإيَّاي كنتَ أحقَّ أن تَخشى».. فالمؤمنون (يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ).

ولا دخل للمظهر في الحكم على الأفراد ولا الجماعات طالما كان في إطار المباح بلا محاذير شرعية.. ودعونا نسمِّي الأشيا ء بأسمائها ونحرر المفاهيم من أسر التحريف لنعي عن الله تعالى عزيزَ كلامِه ونتلقى من الرسول صلى الله عليه وسلم بلاغَته وحكمَته..

دينُ الله ليس تمثيلية ولا مسرحية.. فأحاديث الشهادة بالجنة أو الإيمان لمن يمارس عملًا ظاهرًا محدَّدًا فكلها في حق من لم يأت بناقض لهذا العمل، أو لم يعمل عملًا يتناقض معه: فمثلا حديث «مَن قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ دخَل الجنَّةَ» لا

يمكن تطبيقه على زميلك المسيحي في العمل إذا قالها تعجُّبًا من أمر غريب رآه! فكذلك لا تصحّ في حق من يعبد الحكّام والكبراء عبادة إلهيةٍ؛ فيحرِّم الحلال إذا حرَّموه ويحلِّل الحرام إذا أحلُّوه.. وكذلك حديث «إذا رَأَيتُم الرَّجُلَ يَعتادُ المساجِدَ فاشْهدُوا له بِالإِيمانِ» لا يصح في حق مخبر أمن الدولة الذي يلازم المسجد ليعرف أخبار المصلِّين ويبلغ عنهم! وكذلك لا يصح في حق تاجر المخدرات ولا النصّاب الذي يتخذ المسجد موقعًا يتجمَّل به في أعين الناس أو ينصب عليهم باسمه وعنوانه.. فضلا عن أكثر الأحاديث في هذا المعني ضعيفة الدرجة لا تثبت ولا تصحّ وليست بحسنة؛ لتدلنا على أن الحكمَ على الناس بالأعمال اليسيرة السهلة حكمٌ ضعيفٌ هو الآخر لا يثبت ولا يقر له قرار. وغذا قيل (هلا شققت عن قلبه؟) قلت: لا أدعو للتفتيش في النوايا ولا أحد يستطيع! لكن عمر رضي الله عنه قال (الآن قد انقطع الوحي وإنما نؤاخذ الناس بما بدى لنا منهم) فكان يبعث العيون على المسؤولين ليعرف عنهم ما لا يظهرون له وللناس من أفعالهم، ثم يجمع خير أعمالهم إلى شرها فيزنهما معا بميزان واحد ويحكم بمجمل ذلك، وهذا هو المنهج السديد الرشيد.

هذه االرسالةُ محاولةٌ لإعادة معنى «الإسلام» و«الإيمان» و«الإحسان» وكذلك تطبيق مفهوم «الكفر» و«النفاق» و«الفسوق» و«العصيان»؛ بل هي مقاربة للاتساق مع النفس اللوامة مع نفي النفس الأمارة بالسوء والتضييق عليها، بل هي تحريرٌ لمفهوم التديُّن ككل ومن ضمنه الأصولية والاعتدال على

سواء فهما واحدًا في الحقيقة فلا اعتدال بغير الأصولية وكل فرع نبت بلا أصل فهو أعوج؛ ضبط مفهوم التدين السليم وتطهيره وتحريره عن أدناس منتحلين لا يستحقون إلا سحق أصنامهم الخشبية التي يدعون الناس لعبادتها من دون الله.. إنما أريدك أخي وأريدك أختي برسالتي هذه ألا نكون طبلا فارغا ولا قشرة خاوية.. إنني لا أطلب منك أن تبدو كما تكون! لا أطلب أن تحلق لحيتك ولا من الأخت أن تخلع نقابها! فضلا عن أن يكف المصلي في المسجد عن صلاته أو تخلع ذات الإيشارب إيشاربها! ولكنني أعظك في نفسك أخي صاحب المظهر المؤمن وألزِمُكَ حقًّا أن تكون كما تبدو! كن كما تبدو ولا تبدو كما تكون! بل كُن أفضل مما تبدو! دعك من مسمى «الملتزم» وعليك بالإسلام والإيمان والإحسان.. فيا أيها الـ.. الـ.. المسلم! راقب نفسك لا تقع في الكفر والفسوق والعصيان فتستحق أوصافهم! وهنا يجمُل أن أذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم مطمئنًا لسلامة الاستدلال راجيا أن يقع من فهمك محل القبول: «إِنَّ اللهَّ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».. ومن لطيف الإشارة أن الرسول صلى الله عليه وسلم حين كان يدعو الله بالثبات كا يقول (اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) ولم يقل أبدًا (يا مغير الأشكال والمظاهر ثبت مظهري على دينك)! وهو عليه الصلاة والسلام الذي أشارإلى قلبه وقال (الإيمان ها هنا) صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا وافرًا دائمًا أبدًا.

تعال وأنشد معي ما أنشده منذ عرفتُ حقيقة الحال:

رجالٌ رجالْ.. عِراضٌ طوالْ

قِوانا فتيةْ تَبُزُّ البِغالْ

تشاهدُ فينا جميلَ الخصالْ

و تفقدُ منَّا عظيمَ الفِعال

أُسائلُ فينا معاني الخيالْ

ألا أين فينا الرِجال الرجالْ؟!.

ألا أين فينا الرجال الرجالْ؟!.

ولقد تجنّبتُ هذه المرة ذكر الأسماء الصريحة للأحياء وكان هذا منهجي القديم في كتابي «عسل الخشخاش»، بعد أن كنتُ صرَّحت بالأسماء مؤخرًا في كتابي «دعاة على أبواب جهنم»؛ عدت للتلميح وتركت التصريح لأني فهمت طبيعة المنافقين! هم لا يخشون ذكر أسماءهم لأن التبرير والإنكار هو صنعتهم حيث مَرَدَ أكثرهم على النفاق؛ فمهما ذكرتُ أسماءَهم فلديهم من الحيلة ما يهربون به من العقوبة ويستترون عن الفضيحة.. لكن الذي يخشونه حقًّا هو ذكر صفاتهم وخصائصهم! لأن هذه الصفات تشكل دليل الكشف الذي يستطيع كل الناس تمييزهم به ولو لم يتم ذكر أسمائهم.. وهذا هو منهج القرآن معهم؛ قال

تعالى: (يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللهَّ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ).. فهم لا يحذرون ذكر أسمائهم، بل يخشون أن يعرف الناس طرقهم وأساليبهم فيكشفوهم دون حاجةٍ لفضيحة أو تشهير.. فلعل هذه الرسالة تكون دليل كشف المنافقين والزائفين والله وليٌّ ذلك والقادر عليه.

مدخل الشيطان!

أكادُ لفرط عِشرتي مع العقل السلفي سواء كان علميا أو جهاديا، وكذلك سائر أبناء الحركة الإسلامية، ومجتمعات المتدينين مختلفة المشارب.. أكاد أسمع وساوس الشياطين التي تلقيها في أذنيك الآن أخي القارئ وأختي القارئة وأنتم تمسكون بهذه الرسالة! تُرى أيحدثك شيطانك بأن الكاتب مُنتكسٌ صار لا يهتم بالهدي الظاهر وهو مقصِّرٌ فيه؛ لذلك أراد أن يُسقطه ويعيب أهلَه؟! لابد أنه يحدثك بذلك ليصرفك عن التدقيق في ذاتك ومحاسبة نفسك! فالشيطان يريد دومًا أن يُلقي الإنسان حِملَ الإثم عن ضميره ويرمي به غيرَه! ليرتاح راحة زائفة ويكف عن التفكير في الإصلاح! وأول الإصلاح كما تعلم هو تمييز الخطأ والاعتراف به.

ولكي أسدّ مدخل الشيطان هذا: أرى من الواجب أن أوضح لك معتقدي وما أدين الله به في بعض قضايا الهَدي الظاهر المشهورة.. كي يطمئن قلبُك!

فأنا أقول بوجوب إعفاء اللحية وأدين لله بأن حلقها إثم، وأقول بفرضية الجلباب السابغ وتغطية الوجه للمرأة البالغة، وأنا على تحريم الإسبال ووجوب رفع الثوب فوق الكعبين، وأرى من أركان تربية المرء لنفسه وأهله وأولاده أن يهتموا بحفظ القرآن وتجويده، وأقول بفرضية صلاة الجماعة في المسجد.. لكن كل هذا لا يجعلني أنصب الراية لهذه الشعائر! فأبجل من فعلها وإن كان يخالف

ما هو أكثر وجوبًا منها، أو أنتقص من تركها وإن كان يفعل ما تركُه أفظع إثمًا من تركها!

وإذا قصَّرتُ في واحدة من هذه الشعائر فإني أسمِّي نفسي مقصِّرًا مُذنبًا ولا أحلِّل ذلك التقصير، وإذا أخذتُ برخصة في تركها فإني لا أقول بهذه الرخصة لغيري فلكلٍّ أحواله وظروفه والحُكم غير الفتوى! الحكم معروف واضح وإن اختُلِف فيه سائغًا كان الخلاف أو غير سائغ، بينما الفتوى تتغير بتغير الأحوال والظروف وتغير حال المستفتي في إطار الحكم ومداره مع الرخصة والاستطاعة وغير ذلك.

وغايتي من هذه الرسالة أن نضع الأمور في مواضعها، ولا نرفع أحدًا فوق قدره بسبب مظهره، ولا نبخس أحدًا قدره بسبب مظهره أيضًا.. فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ، لَا يُؤْبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِّ لَأَبَرَّهُ»؛ فكم من حليق هو خير من ملتحٍ، وكم من مختمرة هي خير من منتقبة، وكم مسبلٍ ليس في قلبه ذرة من كبرٍ رافع ثوبيه رياءًا.. وما أكثر المرائين و المنافقين في زماننا للأسف الشديد! لذلك فعلينا أن نعود لميزان التقييم السليم ولا نعتبر الظاهر مقياسًا أبدًا.

وإذا كان الشيطان تمكَّن من أذنيك وصارت مقاييسك على المسلمين جاهلية! فلاشك أن «چورچ أورويل» كان على حق حين قال: (إن فُقدانَ الإيمان بالدِّينِ،

قد أدَّى إِلَى ظهُورِ عبَاداتٍ جدِيدةٍ بشعةٍ، تهدِّدُ أمنَ العَالمِ وسلَامتِه، مثل: عبَادةِ القوة، و اعتبَار النجَاحِ لا الأخلَاق معيَارًا للحُكمِ عَلَى سلُوكِ الإنسَانِ و نشَاطِه)! فلا تدع أوريل يكون أكثر فهمًا منك لحقائق الأشياء!

فهذه الرسالة نصيحتي لك ألا تطفِّف الكيلَ في وزن الناس.. أقفُ موقفًا أرجو أن يكون كموقف شعيب عليه السلام لأنصح جيلًا صار يطفف الكيل ويكيل بمئات المكاييل لا بمكيالين فحسب! وكَيْلُ الناس أولى بالعدل من كيل المتاع والبضاعة!

لا تَزِن الناسَ بالظاهر.. بل زن الناس بميزان القرآن! وهو العمل والسلوك.. وأكثر من ذلك زِنْ نفسك أنت على ميزان عمل القلب الذي لا يظهر للناس قبل عمل الجوارح الذي يظهر لهم؛ كما قال «ابن عقيل» : (والله ما أعتمدُ على أني مؤمن بصلاتي وصومي؛ بل أعتمدُ إذا رأيتُ قلبي في الشدائد يفزع إليه، و شُكري لما أنعم عَلَيّ) [الآداب الشرعية، بن مفلح، 1/ 150].. وأعط كل ذي حق حقه، ولا تعط من لا حق له ما لا تملك من حقوق الآخرين في التبجيل والاحترام. والله يهدينا سواء السبيل.

الاعتدال.. نزعةٌ إلى الفِطرة..

الآن يؤسفني القول بأن الجاهليين صاروا أكثر بحثًا عن الفِطرة وعملًا للعودة إليها من كثيرٍ ممن يزعم تمسكه بالإسلام! فرغم أن الإسلام دين الفِطرة! إلا أن أهله يُبغضون فطرتهم ويصرُّون على التصنُّع والتزييف والادعاء حتى في شؤونهم الحياتية قبل شعائرهم الدينية! لكن الحاجة للفِطرة والاتساق مع طبيعة النفس دفعت الجاهليين في شتى بقاع الأرض لمحاولات إنقاذ ما تبقى من فطرتهم حتى يتمكنوا من الحياة والعيش في بعض هدوءٍ وسلامة في النفس والمجتمع! تجد اتجاهًا للحياة العضوية Organic Life بعد أن أعيت الكيماويات الصناعية صحة الناس ولوَّثت غذاءهم، فيحرص أهل هذا الاتجاه على الغذاء العضوي (الخالي من المبيدات والأسمدة الكيماوية والهرمونات وأمثال ذلك) والملبس ذي الأصل العضوي (المنسوج من ألياف وجلود طبيعية لم تدخل في زراعتها ولا تجهيزها موادًا صناعية). وتجد نظاما أقل من ذلك يشترط أن الغذاء يكون نباتيا أصليًّا Plant Based Diet بلا تصنيع ولا موادًا حافظة ولا خلطات طبخ غريبة تدفعك لأكل ما لا يلزم جسمك؛ فينبذون كثرة السكر التي تسبب الإدمان (يجعلون نسبة السكر الأبيض –الكربوهيدرات المحسّنة– في غذائهم صفرًا٪) وكثرة الملح التي تشهِّي ما لا فائدة فيه (يجعلون نسبة ملح الطعام في غذائهم 100 مللجم لكل 100 سعر غذائي) وهكذا. وفي

الجمال تجد من ينبذون الصورة الهوليودية للمرأة (النحيفة الرشيقة المتزينة) ويشجعون موديلات سمينات Plus size models (طبيعيات المظهر) ليعالجوا الأمراض النفسية النسائية التي نشأت بسبب الاقتصار في مقاييس الجمال على النحيفة الرشيقة. فضلًا بالطبع عن الاتجاه في توليد الطاقة إلى المصادر الدائمة والمتجددة غير الملوثة للبيئة Renewable Clean Energy ونبذ الوقود الأحفوري الضار في انبعاثات حرقه المكلف في وسائل استخراجه المهدد بالنفاذ.

هذا كله نزعة فطرية اعتدالية يهرب إليها الجاهليون ليحافظوا على بقية من طبيعتهم وإن كانت الروح لاتزال محشوَّة بركام الجاهلية مشوشة بشوائبها وأدناسها.. فلماذا لا ينهض المسلمون فينفضوا عن أجسادهم أزياء التصنُّع، ويلقوا عن وجوههم أقنعة النفاق، ويعودوا إلى خير الهَدْي: مؤمنين حقًّا، عاملين ناهضين بأنفسهم وغيرهم، محاسبين أنفسهم قبل غيرهم، منطلقين إلى الرفعة الحقيقية! لا صانعين أوهاما من العلوِّ الكاذب، وخيالات من الصلاح الزائف؛ لإسكات الضمير وجني المديح وحصد الثناء؟!. إن التصنُّع لا ينتج إلا الغثاء! غثاء السيل الذي تراه من بعيد كأنه جزيرة في وسط الماء تنجيك من الغرق فإذا سبحت إليها وجدتها كومة قش لا نفع منها ولا نجاة بها! ثم يلقيها السيل على جوانب مجراه فتذهب جفاءًا!

المظهر هو غثاء السيل! لكن العمل الحقيقي الصالح المنضبط هو الذي ينفع الناس ويمكث في الأرض! ولا بأس من المظهر إذا كان معه العمل! لكن حال الأمة اليوم لا يدل على ذلك! الأمة اليوم غثاء كغثاء السيل كما قال صلى الله عليه وسلم.. مظهر بلا مخبر، ظل زائف، صورة سراب!

ورسالتي هذه لدلالة الراغبين في الإصلاح إلى أن: أول طريق الإصلاح هو رؤية حقائق الأشياء والتسليم بعيوب النفس والمجموع! لا إنكارها وتجميلها! لأن تنظيف البيت لا يكون بكنس التراب ثم وضعه تحت البساط! لكن برفع البساط والتنظيف تحته أولًا، ثم غسل البساط ذاته لتطهيره مما تراكم فيه من تراب وآفات! والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ولا يضيع أجر العاملين. إنه وليُّ المؤمنين. والإيمان ما وقر في القلب وصدَّقه العمل لا ما جرى على اللسان وظهر في الصورة لكن كذَّبه العمل! والماءُ يكذِّبُ الغطَّاس!

الحل..

يسألني إخواني قبل أن أكتب هذه الرسالة، ولابد سيسألوني بعد أن كتبتها: (ما الحل؟ أتمسك بالهدي الظاهر شكلا وسلوكًا أم لا؟) ولهم أقول: لكل مسألة من الهدي الظاهر حكمها؛ منها الواجب ومنها المستحب وفي الموازنة بين كل ذلك أرى مناسبة قوله صلى الله عليه وسلم: «استفْتِ قلبَك؛ والبرُّ ما اطمأنَّت إليه النَّفسُ واطمأنَّ إليه القلبُ، والإثمُ ما حاك في القلبِ وتردَّد في الصَّدرِ؛ وإن أفتاك النَّاسُ وأفتَوْك».. فالسؤال عن ذلك ليس له إجابة واحدة! الحكم معروف لكن الفتوى تختلف باختلاف السائل وأحواله! فقد يُمنع المستحب ويسقط الواجب! «استفْتِ قلبَك» في هذه المسألة هي الحل؛ أنت تعرف ما تستطيع وما لا تستطيع (لاَ تُكَلَّفُ نُفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا)! فوفِّق ما استطعت «اسْتقيموا و لن تُحصوا، واعلموا أنَّ خيرَ أعمالِكم الصلاةُ، ولا يحافظُ على الوضوءِ إلا مؤمنٌ».. لكن على كل حالٍ فلا تضع «الهدي الظاهر» في خانة «مستحيل الترك» لأنه قد يستهلك كل طاقتك ولا يترك منها شيئًا لغيره! لكن ضعه بكل تأكيد في أول ما يمكن تركه للحفاظ على «سلامة المنهج والمعتقد والسلوك».. يَسَعُكَ أن تتنازل أو تخطئ بشرط أن تعرف خطأك وتسمي نفسك ضعيفًا آثمًا، ثم تعزم على إصلاح خطتك وإن تأخرت! أما أن تصحِّح الخطأ وتدعي أنه الصواب بل الواجب فأنت مفتونٌ هالك! قال حذيفة رضي الله عنه: (فمن أحبَّ منكم أن

يعلم أصابته الفتنةُ أم لا؟ فلينظر؛ فإن كان يرى حرامًا ما كان يراه حلالًا، أو يرى حلالًا ما كان يراه حراماً؛ فقد أصابته الفتنة).

وحين ضاق الخناق على بني إسرائيل وُضعت عنهم الأمور الظاهرة وأمروا بالصلاة في البيوت، وفي أول الأمر لم يخطب النبي صلى الله عليه وسلم عند الكعبة لكن كان يلتقي المؤمنين في دار الأرقم.. وأحبُّ بيتا من الشعر قمتُ بتعديله؛ يجمل أن أستدل به ها هُنا فأقول:

إنما الأممُ الدِّهليزُ ما بقيَتْ .. فإذا همُ ذهبت دهليزُهم ذهبوا

والدهليز مخبأ سريٍّ ومهرب يهرب منه المحاصَرُون.

وهذه الرسالة محاولة للتوعية بخطر السولوفانية: بداية من التشبع لما لم يعط الفرد نهاية بالتجسس على الأمة والمجتمع والجماعات.. والله يجعل فيها الخير وينفي عنها الشر وينفع بها كاتبها والمؤمنين ويضر بها الكافرين والمنافقين إنه جوادٌ كريم سبحانه وبحمده.

حدودٌ لا قوالب!

وخلاصة القول: أن الله لم يجعل للمسلمين شكلا محددا صارمًا ولا طريقة سلوكية شديدة التحديد ولا قالبا صُلبًا يَتَقَوْلَبُون فيه تَقَوْلُبَ السلحفاة في صدفتها والبزّاقة في حلزونتها! لكنه حدَّ لنا حدودًا وثبّت لنا إطارا نتحرك فيه ولا نتجاوزه! وإن شئت تابعت في القرآن قوله عزَّ وجلَّ في سرد وتبيين الأحكام (تِلْكَ حُدُودُ اللهِ).. ثم يقول سبحانه بعد ذلك في مواضع محذرا مجردَ الاقتراب من تلك الحدود: (فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) أو يتوعّد سبحانه من يَمْرُق منها فيقول في مواضع أخرى: (وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) أو يعد ويُبشِّر من يحيا داخل إطارها في مواضع أخرى فيقول: (وَمَن يُطِعِ اللهَّ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ) أو يبين الحكمة من تحديد تلك الحدود فيقول في مواضع: (لاَ تَدْرِي لَعَلَّ اللهَّ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً) أويبين معنى التقوى وأنها هي الحركة داخل تلك الحدود بلا تجاوز فيقول: (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) واصفا من يتجاوزها في موضع آخر (وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهَّ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ).. فلكأن الإسلام هو الوطن على الحقيقة، وكأن أوامر الله ونواهيه هي الحدود التي تحفظ أبناء هذا الوطن داخلها؛ فمن تجاوزها سقطت عنه الجنسية ومن اقترب منها

ابتعد عن الوطن قدر اقترابه ذلك حتى إذا هاجر عبر الحدود خرج من جنسيته وترك دينه!

وفي داخل تلك الحدود درجات هي الأعمال الصالحة والشعائر التي يترقّى الإنسان في وطنيته تلك كلما نهل منها «الإِيمانُ بِضعٌ وسَبعونَ شُعبةً ، فأَفْضَلُها قَولُ : لا إِلهَ إلا اللهُ ، وأَدْناها إِماطَةُ الأَذَى عنِ الطَّرِيقِ ، والحياءُ شُعبةٌ من الإِيمانِ».. فينتقل إلى وصف الإيمان ثم الإحسان معبرًا عن درجة وطنيته والتزامه تلك الحدود.. فالمؤمنون أبطال وطن الإسلام، والمحسنون هم عظماء الرجال والنساء فيه!

فمن أوجب شكلا محدَّدًا صارمًا أو منهجا واحدا لا يُجيز مخالفته ولو إلى هُدىً ورشاد؛ فهو يصنع الآلات لا يصنع الإنسان! ويبرمجُ شُعبةً من المسحورين لا يدعو شَعبًا إلى حقيقة الإسلام.. وقد قال صلى الله عليه وسلم « اسْتقيموا ولن تُحصوا » فكيف يدعي أحدٌ أنه أحصى وحدَّد شكلا مُحدَّدًا ومنهجًا واحدًا؟! حتى لو كان يدعي ويزعم أنه منهج الطائفة المنصورة! تلك الطائفة التي على مر التاريخ كان بين فروعها الخلافُ السائغ في أمور الفروع بين المذاهب تحده حدود الأصول وإطار العقيدة؟!. فوصف «الالتزام» هذا وصف قبيح لا يعني إلا البرمجة الكاملة واستنساخ النموذج «عبد البشر» الذي يريده الصانعون

على هواهم وفي خدمة أغراضهم؛ لا الإنسان المسلم الذي يريده الله حُرًّا من كل عبودية إلا عبوديته سليما من كل استسلام إلا الاستسلام له وحده جل في عُلاه.

أما المسلم فهو الذي يكفر بالطاغوت قبل أن يؤمن بالله! ولو لم يكفر بالطاغوت لا يصح له إسلام حيث يقول (لا إله) قبل أن يقول (إلَّا الله).. وهو الذي يصلي لله وحده لا لأهل الحي يطربهم بصوته! ولا لزملائه فيسمونه شيخًا! ولا لأحد! بل لله الواحد الأحد!.. وهو الذي يُزكِّي عالما أنه رسول بالمال! رجل بريد يوصل الزكاة لأهلها فلا يرى لنفسه فضلا فيها، بل يرى فضل الفقير إذ تفضل عليه بقبولها، ومن فوقه فضل الله الذي أعطاه وأغناه!.. وهو الذي يصوم فيجوع ويتبتل، لكن قبل ذلك يصوم عن الحرام فلا يأكله! كيف يكون صائمًا عن الطعام أثناء عمله صباحا في مهنة حرامًا، أو تصوم أثناء عرضها جسدها على الناس إباحية وتهتكا وانحلالا!.. وهو الذي يحج فيخلع ثيابه إلى كفنه! ويطوف بالحجارة ويشرب الماء مرتضيا أمر الله غير ساخط، عالما أنه ابتلاء لعقله وهواه! ثم لا يسمي نفسه حاجًّا ولا يرى للحاج فضلا على غيره! بل يخشى أن ترده الملائكة عن الله لعصيانه الله بالمال والطريق!.. وهو الذي يرى الجهاد سادس أركان الإسلام! وذروة سنامه! فيجاهد بيده ولسانه وماله ما استطاع إلى ذلك سبيلا! تجده عند الأزمة وفي الميدان! فلا يهرب ولا يتعلَّل ولا يعتذر!.. وهو الذي إذا عمَّر ظاهره بأركان الإسلام طهَّر باطنه بأركانه أيضا! فحديث أركان الإيمان الستة يعني أنها أركان الإسلام الباطنة القلبية التي لا يطلع عليها إلا الله؛

إلا إذا تكلم صاحبها وصرّح: لأن اسم «الإيمان» إذا جاء منفردا فهو يعني «الإسلام»، وإذا جاء مقترنا باسم الإسلام فهو يعني مرتبة أعلى من الإسلام.. فالمسلم هو الذي آمن بالله فلم يركن لأحد سواه ولم يسارع في غيره إذا اشتدت عليه أزمة! وهو الذي لا يخشى إلا الله: عندما تحق كلمة الحق أن يقولها! وهو الذي يوالي في الله ويعادي عليه!.. وهو الذي يستشعر صحبة الملائكة ومراقبتها له ويعلم أنهم عليه شهود! وهو الذي يستبشر بصحبتهم له في مجلسه بعد الصلاة يصلُّون عليه ما دام على طهارة ولم يكلم أحدًا! وهو الذي يدعو الله بالمدد ولا يدعو بالمدد من غيره؛ فيرى حفظ الله ومعونته من حيث لا يرى أدوات الحفظ وهم الملائكة!.. وهو الذي يؤمن بكل كتب الله وأنها قد نُسخت إلا القرآن.. وفي القرآن أن نتبع الرسول؛ فالمسلم يرى السنة مصدر تشريع مع القرآن ولا يرى غيرهما كتابا ولا غير الله مشرِّعًا!.. وهو الذي يؤمن بالرسل فلا يؤله المسيح ولا يؤمن بصلبه بل ينتظره حاكما مسلما في آخر الزمان! ولا يقدس الفراعنة ولا يرى لهم دينا إلا آثارا بقيت لديهم من أيام إدريس ويوسف ثم موسى عليهم الصلاة و السلام وهو الذي يقتفي آثار الأنبياء جميعا ويهتدي بهداهم وعلى رأسهم خاتمهم وخيرهم محمد بن عبد الله عليهم جميعا الصلاة و السلام.. وهو الذي يتقي في كل شأن عذاب البرزخ واليوم الآخر والنار ويبتغي في كل شأن نعيم البرزخ واليوم الآخر والجنة! فهو في كل شأنه يعلم أنه مدان بيوم الدين حتما وإن لم يُدان في الدنيا.. فهو في كل شيء يرى حسابه أقرب إليه من أفعاله فلا

يفعل حتى يحاسب نفسه.. وهو الذي يتقلب في قدر الله؛ يرضى بكل ما يمنعه قبل أن يرضى بكل ما يعطيه! يعلم أن الله قدَّر لحكمةٍ؛ فأعطى تكرُّمًا ومنع تفضُّلًا، وأن ما حرمه الله فقد وقاه به الشر، وما أعطاه فقد ابتلاه فيه بالخير! وكل قدر الله عاقبته خيرا للذي يرضى وكل السخط للذي يسخط.. وهكذا الإسلام!

فإن شاء ترقيا إلى الإيمان زاد خيرُه وإن شاء ترقيا إلى الإحسان انقطع شرُّه.. فهو عبد لله يتقلب بين أمره ونهيه وقد كفر بالشيطان والطواغيت والجبت وهواه! لا يرى له ربا إلا الله.. يدل على ذلك حالُه وسلوكه قبل مظهره ولافتات دنياه! جعلنا الله منهم وحشرنا فيهم وجمعنا بهم في فردوس النعيم.. آمين.

انتظارٌ انتظارْ.... فمتى يأتي النهارْ

طال ليلُ الصبرِ دهرًا وبصدرِ العبدِ نارْ

ها أنا أسأل نفسي.... فمتى يأتي النهارْ؟!

ها أنا أمسيتُ أمشي في دياجير القِفارْ

وإذا بالقفرِ بابٌ.. فوقه ألفُ ستارْ

وإذا بالبابِ قومٌ.. نائمون في الدِّثارْ

كلُّهم أحْنَوا رؤوسًا.. كلُّهم تَيْسٌ يُعَارْ

وإذا البابُ يُنادي.... ها أنا باب النهارْ

لَنْ يَرُومَ الشمسُ إلاَّ..... حارثٌ يبغي البِذارْ

وأنا البَذْرُ بِعَقلي.. ومُنى الشَّوْقِ انتشارْ

فَلأطَأْ فوقَ الرؤوس.... رأسَ خزيٍ رأسَ عارْ

فَلأُزِحْ سِتْرَ الليالي من على باب النهارْ

فَلْ و فَلْ لا فَلْ .. ولكنْ مُدَّ كفًا لانتصَارْ

ها تُزِيحُ السِتْرَ كفِّي... ذا الستار وذا الستارْ

ذا الستارَ وذا الستارَ وذا الستارَ وذا الستارْ

ها هو الستر تداعى..... ها هي شمس النهارْ

ومن الآن انتظاري.. لن يكون للنهارْ

بل بطول الليل حرثي.... وانتظاري للثمارْ

(تم بحمد الله)

شكرٌ واجب..

إلى كل السولوفانيين الذين قابلت شخوصهم وقرأت وسمعت عنهم.. كنتم خير معين لي على كتابة هذه الرسالة.. فلكم الشكر في الدنيا كما يشكر الطبيب مريضًا أعانه على صياغة بحثه واكتشاف الدواء.. لكن يبقى عليكم أن تقتنعوا بتعاطي الدواء! أو ستهلكون ولاشك! حينها لن ينفعكم الدواء ولا صاحبه في شيء.

جزيل الشكر.

وتمت كتابته بقلم:

إسلام أنور المهدي

في:

3 ذو القعدة 1437

6 أغسطس 2016

Mahdy.islam@hotmail.com
https://www.facebook.com/mahdy.islam

الفهرس

السولوفانية! 1
إهداء.. 2
تمهيد.. 3
مدخل.. 13
أسماء سمّيتموها!...................................... 16
هو سمّاكم المسلمين.. 18
أمثلة من عصر السلف.................................. 22
الشيخ والقارئ... 28
السولوفانية! 32
الهروب من تهمة التكفير.. 41
الإرجاء الواضح.. 43
التعصب وليد الشكّ! 49
تناقض سلوكي (الفسوق والعصيان)...................... 51
تجميل الفِسق! 54

تناقض عقدي (النفاق).. 56
الأيام تشهد.. 59
أمُّ الكوارث!... 61
السولوفانية في تقييم النَّفس: 61
السولوفانية في تقييم الآخر:............................ 66
تجديد الصوفية.. 76
خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ؟!...................................... 79
العصافير.. 85
ورقة التوت الأخيرة.. 95
رمتني بدائها... 97
جريمة فوق جريمة.. 103
ما بعد السولوفانيّة.. 105
كيف نحاسب أنفسنا ونحكم على الناس؟.............. 107
مدخل الشيطان!...................................... 113
الاعتدال.. نزعةٌ إلى الفِطرة.. 116

الحل.. 119
حدودٌ لا قوالب! 121
شكرٌ واجب.. 127
الفهرس 128